

دین
کاسہ

اللائحة
الفرسیة
المسلمہ



موسسه الکتبخانہ

د. عبدالودود شلبی

دكتور عبد الوهود شلبي

إجابات حاسمة

إلى

الأخت الفرنسيّة المسماة

مؤسسة الخليج العربي

الطبعه الأولى

١٩٨٧ - هـ ١٤٠٧

جميع حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة الخليج العربي

١٩٥ شارع ٢٦ يوليو - العجوزه - القاهرة

تليفون ٣٤٧٢٢٠٦ - ٣٤٧٢١٨٣

بَدَأَ الْاسْلَامُ غَرِيبًا ..
وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ..
فَطُوبِي لِلْفُرَبَاءِ ..

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
«صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

أنه سيأق عليكم من بعدي زمان .. ليس فيه
شيء أخفى من الحق .. ولا أظهر من الباطل ولا
أكثر من الكذب على الله ورسوله .. وليس عند
أهل ذلك الزمان سلعة أبُورَمِنَ الكتاب إذا تلى حق
تلاؤته ، ولا أنفق منه اذا حرف عن مواضعه ، ولا
في البلاد شيء أنكر من المعروف ، ولا أعرف من
النكر . فقد نبذ الكتاب حلته ، وتناه حفظته .
« الامام علي بن أبي طالب »

قصَّة هَذَا الْكِتَابُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

كما في هذا موجہ ف الأصل إلى أخت فرنسيہ مسلمة كانت تعيش
في مدينة القاهرة ..

غير أن أستاذن القارئ — للتوقف قليلا — أمام قصة أخرى
شابهة جرت أحداثها بعيدا عن مصر وعن مدينة القاهرة .

أنها قصة الأخت البريطانية المسلمة مرجريت روی MARGRET ROY
التي تعرفت عليها مصادفة في مدينة ستراتفورد — آن .
أفون .

حيث ولد شاعر الانجليز الأكبر وليام STRATFORD ON AVON
شكسبير SHEKESPAR .

كنت قد تعرفت على هذه الأخت من خلال حوار دار بيني وبين
أحد القساوسة الانجليزكانين في مدينة ستراتفورد .. ولم تدع الأخت
مرجريت هذه الفرصة تمر .. فقد احتفظت بعنوان — حيث كتبت
أقيم — في هذا الوقت بعيدا عن الوطن الأم .. وحرست على
مكاتبتي في كل ما يعرضها من شبهات تتصل بالاسلام و موقفه من
قضايا العدل والحرية في هذا العصر .

★★★

لقد اختارت الأخت مرجريت الاسلام . وانقطعت أخبارها عنى
منذ سبعة أعوام .. حتى فوجئت بزيارتها لى في الأزهر قبل عام ..

— لقد تغولت غولاً كبيراً يا أخت مرجريت ..
قلت ذلك .. بعد أن رأيتها في زى إسلامى سابق ، وفي سرت
دينى وفقر ..

كانت مرجريت قد تزوجت من أمير كى مسلم ، ولم تس أن
تطلق على ولديها اسمين عزيزين في قلب كل مسلمة ومسلم . لقد
اختارت لولديها اسمى أحمد و محمد ..

أهذه هي مرجريت الانجليزية ؟ خريجة جامعة كمبردج ؟ والفتاة
التي انتزعت نفسها من حياة الليل في اكسفورد ستريت OXFORD
وماربل أرش MARBLE ARCH وأوكار الكوكايين والخشب في
معطس الأندر جراوند THE UNDER GROUND

لم أصدق ما أرى وأسمع . لقد تدخلت في عقل الصور والقيم ،
والواقع والمثل أمام هذه « الباتوراما » الاسلامية التي أسمها
مرجريت .. هذه السيدة المسلمة خريجة جامعة كمبردج .. وابنة
الامبراطورية التي واجهت الاسلام — على امتداد قارات الدنيا —
بشراسة وحداد ..

ولكنه اليمان حين يتمكن فيسمو بصاحبة عن الواقع الأليم المر ..
وعن الجنس واللون ، وعن كل زينة عابرة تمنح صاحبها جاها زالقا

يذيل وينوى مع كل لحظة من لحظات العمر .

ألم يقل مولانا « محمد على » في محاكمة كراتشي الشهيرة ، وهو يواجه مخلفين ليس بينهم مسلم .

ان القضية ليست بين محمد على والحكومة .. انها قضية الله مع البشر . والمشكل كله .. هل سيكون السلطان الله على الانسان أم للانسان على الله ؟

الله الذى وهبهم الحياة .. والشرف والعقيدة والجاه والسلطان والقوة . تلك هى عقیدتى .. فاشتفوفى إن شتم .. ولكن اعلموا أنكم بذلك تنتحرتون . إذ تقتلون أرواحكم .. ستكونون أجسادا تتحرك بلا روح .. وجيفا تلقى طعاما للغربان والكلاب ..

قلت للأخت مرجريت مواسيا . وهى تحدثنى عن واقع المسلمين فى العالم كله .

لقد تجاوزت هذه الحنة منذ اختيارك للإسلام .. وأذكر أنتى صارحتك بما تشکين منه في هذه الأيام .. والحمد لله .. فالإسلام .. ليس دين أمة معينة ، ولا دين جنس معين .. انه دين الانسانية جميعا حيث وجدت ، وبأى لغة نطقت ، وليس في الاسلام « كهنوت » أو « اكليروس » أو رجال دين يمسكون بأيديهم مفاتيح السماء ، أو ينحون بركتاتهم وغفرانهم لكل من يدفع الثمن من الآثرياء ، ولكل من هب ودب فوق هذه الغبراء ..

(١) أنظر كتابنا : حتى لا تخدع – قصل – اذا هت ربع الایمان .

ألم يقل نبينا محمد لأحب أبنائه وبناته فاطمة : إعمل فاني لا
أملك لك من الله شيئا ..

انتا جوينا أحرار في اختيارنا وفي ايماننا يا أخت مرجريت ،
وبمقدوري هنا الامان والاختيار يتعدد موقفنا أمام الله ... كما يتعدد
وضعنا ومكانتنا في هذه الدنيا ...

صحيح .. ان الواقع الاسلامي ... اليه ... ومر ... وأحوال
المسلمين تسوء ولا تسر ولكتنا — كما قلت — مسئولون أولاً عن
أنفسنا .. ولو استقر هذا الامان واليقين في قلب كل واحد منا لأمكن
تغير الكثير مما يعوق حركة الاسلام ، وما ينبع اليه من تهم تسوء
اليه في كل مكان .

لقد بدأ الاسلام غريبا ... ويسعد غريبا كما بدأ ...

ان بعض اليائسين يفسرون هذا الحديث تفسيرا يتفق مع نظرتهم
المتشائمة ، أو مع شهواتهم التي اخلعوا بها الى هاوية سخيفة .. بينما
يشير هذا الحديث الى ظهور الاسلام في بيئة مشابهة للبيئة التي نشأ
الاسلام فيها أول الأمر . من حيث الغربة النفسية ، والوحشة الفكرية
ومن حيث التسامي عن كل مغريات هذه الدنيا وما مثل ذلك ومثل
شقيقائك وآخواتك في الامان الا حجة قائمة تنطق بهذه الحقيقة .

واذا كان العرب والمسلمون قد انفروط عقدتهم في هذا العصر
وشاهدت صورتهم في كل بلد وقطر ... فليس لأنهم دون البشر كما

وصفتهم صحيفة الصن^(١) — The Sun — ، بل لأنهم تخروا عن
إيمانهم الذي مكن الله — لهم — به ذات يوم ... ومن يدرى؟ فقد
يمكن الله — للإسلام — على أيدي شعوب كانت من ألد أعدائه فوق
هذه الأرض ...

وداعا يااخت مرجريت

قلت ذلك ... وهي تستاذن في الانصراف ... للحاق بالطائرة
المتجهة إلى لندن حيث تعيش اسرتها هناك في حي هاديء راق اسمه
Hampstead .

لكن وداعا لأى شيء؟

ان القضية ليست قضية مسلمين يتبدلات الرأى والنصيحة بل
هي قضية حياة أو موت — بالنسبة لألف مليون مسلم ومسلمة ..
نكون أو لا نكون كما يقول شكسبير على لسان هملت في مأساته
الأخلاقية المعروفة ..

وهي مأساة تتكرر كل يوم مع ألف مليون من البشر يعتقدون
وجودهم الجغرافي من أقصى الغرب على شاطئه المحيط الأطلسي ..
إلى أقصى الشرق على شاطئه المحيط الهندي ..

وهي مأساة تتجدد ، وتتعدد .. وتخالف من بلد إلى بلد .. ومن
قطر إلى قطر ، ومن جماعة إلى جماعة بل تكاد تعصف بكل فرد
يواجه هذه التناقضات التي تراها عينه وتسمعها أذنه ..

(١) لقد وصفت صحيفة الصن الأمريكية العرب وصفاً سفناً يسمى الإنسان من ذكره .

فاسأل نفسك أينما المسلح .. من أنت ؟
 أنت في مرحلة الحياة .. أم الموت .. أم الموت في الحياة ..
 أنشد العون من شهد ثلاثه ..
 أوها : عرفانك لذاته .. فأنظر نفسك في نورك أنت ..
 وثانيها : معرفة ذات أخرى .. فأنظر نفسك في نور سواك ..
 وثالثها : المعرفة الالهية . فأنظر نفسك في نور الله .
 فما أجمل أن يعقل الانسان ذاته .. وأن يختبر رونقها في ضوء
 الشمس .. والا فذاته لا تزيد على حلقة من دخان^(١) .

من كان للإسلام فليضرب بمعوله الفساد
 فيصبح باللص العتي كفاك من شبع وزاد
 ويصبح بالفساق ايامكم وأعراض العباد
 ويصبح بالطاغين . أسرفهم . لكل مدى فناد
 ويصبح بالباغين . ويخكمو لقد ذهب البرقاد
 ويصبح بالغاوين ويخكمو اذا حان المصادر
 وطواكموا احد المناجل بين آذرعه الشداد
 ونظرتموا فإذا الظلام عليكمو حتى السواد
 ربح مصر صرة الزئير كأختها في يوم عاد
 تسقيكمو من ولها وخرابها حم الرشاد

(١) العلامة اقبال : ذيوان حلويد نامة .

من هؤلاء الصاغرون ..
أفهؤلاء المسلمين ؟
أبداً تكذبني وترجمنى الحقائق والظنوں^(١) .

لكن .. ما قصة هذه الأخت الفرنسية التي كانت تعيش في مصر ؟ في مطلع هذا العام اتصلت لي صديق قديم^(٢) ليحدثني عن هذه السيدة .. كانت قد أرسلت إليه بطاقة من الأسئلة فحوّلها إلى الإجابة .. غير أنّي فوجئت بكتابتها باللغة الإنجليزية ، وما كدت أفرغ من ترجمتها إلى اللغة العربية حتى فوجئت مقاجأة أخرى من تطابق ما تقوله الأخت الفرنسية مع ما قالته أختها الإنجليزية ..

لقد تجسدت مشكلة الأخت مرجريت أمام عيني للمرة الثانية .. كيف حدث هذا ؟ من المستحيل أن يكون هناك اتفاق بين فرنسية مسلمة كانت تعيش في مدينة القاهرة ، وبين أخت مسلمة أخرى تعيش في الولايات المتحدة ..

لقد تغير المخاكي فجأة منذ هذه اللحظة .. فبدلاً من الرد على أسئلة الأخت الفرنسية في رسالة خاصة .. رأيت أن تطبع هذه الإجابة كاملة ، وأن تصير في كتاب يعالج هذه الظاهرة التي نفست في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ..

(١) من قصيدة « المسلمين » للشاعر عمود حسن اسماعيل .

(٢) الأستاذ عبد جابر وكيل أول وزارة شئون الأزهر .

وبعد ..

هل انتهت القصة .. ؟ كلا .. بل بدأت . فعالوا نقرأ ما كتبه .

هذه الأخت الفرنسيّة ..

— ماذا كتب ؟

— ولماذا كتب ؟

وهي سألت .. ؟

دكور عبد الودود شلبي

لَمَّا ذَادَ...
هِيَ حَائِرَةٌ؟

أسمى (أ.ح)^(١) فرنسية المولد ومسلمة وأقيم الآن بالقاهرة لقد استجابت لنداء الاسلام لأول مرة عند زيارتي لمصر عند سجاعي للأذان في موعد صلاة الظهر ، لقد شعرت حينئذ بأنه يناديني .

وبعد بضعة أيام التقيت في سماء مصر ومن أعلى معبد أبو سهل بال المصرى المسلم الذى أصبح فيما بعد زوجا عزيزا لي .

لقد أعطاني الله هدية ثلاثة ، إنها الأبنة الصغرى التي أتيحتها زوجي من زواجه الأول والتي توفيت أنها . إن ذكاءها وحساسيتها تعلو على المستوى العادى ، لقد اشتراك فى تعليمها أولويات الاسلام عندما كانا يعيش فى فرنسا وظللت أحدهما عن الاسلام بدلا من الحديث عن القصص الاوربية العادية ، حيث أتتى أؤمن بأن حياة رسولنا محمد هي قصة بالغة الروعة .

ونظرا لأننى قد حصلت على الكثير فانى أشعر بأنه من واجبى أن أعطى أكثر فى محاولاً مع من وضعه الله فى طريقى .

عندما أختلط بغير المسلمين ، يخيل الى أن أحسن ما أقدمه لهم هو مقلتي على الاجابة بدقة عن استئتمهم التي لا نهاية لها و كأننى مسلمة المولد .

أن المسلمين ، في كثير من الأوقات يتطلعون لتعليمي تعاليم الاسلام ومع ذلك فالبعض منهم يخلط بين العادات وبين الدين أو

(١) ليس هنا هو الاسم بالضبط ، ولكنه اختصار للحرروف الأولى منه .

يذكرون أشياء ليست — دائمًا — صحيحة ، لذلك فأنني في حاجة إلى تعميق معرفتي بالاسلام لكي أتبين الطريق الصحيح وأحاول اتباعه .

في باريس كنت أدرس القرآن على يد البروفسور محمد حميد^(١) الله الذي ترجم معانى القرآن الكريم الى الفرنسية وألف عدة كتب عن الإسلام .

والآن تراودني من وقت لآخر شكوك وأسئلة لا أرى لها عندى اجابة .. وهى شكوك وأسئلة يتعرض لها الكثير أمثالى من لم يعفوا — بعد ثقافتهم الدينية .. ، وأرى واجبا على كل عالم مسلم ومفكر مسلم أن ينهض بواجب الشرح والتوضيح لمثل هذه الأمور التي تحول بين الكثرين ، وبين الفهم الصحيح لعقائد الاسلام .

وأسأعرض فيما يلى نماذج لهذه الأسئلة والشكوك من واقع تجربتى ومعرفتى بالظروف والأسباب التى تثير مثل هذا القلق الذى ينبع على المؤمن طمأنيته وأمنه في بعض هذه الأحوال .

السؤال الأول :

كيف نوفق بين الاعتقاد بأن الإنسان يملأ إرادته الحرية في اختيار بعض ما يؤمن به ويعتقد به في هذه الحياة ، وأن الإيمان أو الكفر ، وفعل الخير أو الشر كلها نتائج لهذا الاختيار الحر من جانب الإنسان .

(١) عالم مسلم من أصل باكتشاف يعيش في باريس .

كيف نوفق بين هذا الاعتقاد الذى يؤكد مسؤولية الانسان عن كل عمل يقع منه في هذه الحياة وبين (اعتقاد آخر) يقرر أن كل ما يقع في هذا الكون إنما يقع بارادة الله ..

أنتي أشعر بمحنة بالغة تجاه هذه القضية ، كما لا أجد جواباً عند من نقشتهم من المسلمين حلّ لهذه المشكلة ..

فكيف نوفق بين هذا الناقص ؟

وكيف يكون الانسان حرراً مطلقاً في جانب ؟
 بينما يندو أسرى مقيداً في جانب آخر ؟

السؤال الثاني :

هناك حقيقة أخرى تقول : بيان الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

فإذا كان الله هو الذي يهدى ، والهدى من سبحانه وتعالى وحده .. فلماذا اللوم على غير المؤمنين اذا كان الله لم يهدئهم ؟

السؤال الثالث :

هل المسلم سيء الخلق أفضل أو أسوأ من الشخص غير المسلم
الحسن السلوك ؟

أنتي أميل الى الشعور بالقول بأن المسلم سيء السلوك هو الأسوأ حيث أنه قد وضع في الطريق الصحيح . وظهرت أمامه كل آيات الاستقامة . ومع ذلك فإنه شرد وجنه الى غير الحق .

السؤال الرابع :

أنا لم أقرب الخمر حتى قبل دخولي في الإسلام وكان اعتقادى دائمًا بأن المشروبات الروحية هي الدعم الأدلى للتعساء .

أنت لا تتدخل عندما يتعاطى المسلمون الخمر لأنكى أعتقد أن هذه مشكلة بينهم وبين الله ولكن عندما يدعون بأن القرآن لا ينص على تحريم المشروبات الكحولية ، ويقولون بأن القرآن يحرم على المسلم أن لا يقرب الصلاة وهو مخمور ، أنت أشعر بضرورة القول بأن هنا تفسير خاطئ ، ولا تعرض المسلمين للضلال .

أنت أدرك بأن الآيات التي نزلت أخيرا في تحريم الخمر تلغي ما جاء من آيات متقدمة حول الخمر ، وبالتالي فإن الآية التي جاء فيها بأن الخمر رجس من عمل الشيطان ، هي التي لا بد أن تؤخذ في الاعتبار أنت عادة أجيبي بأن لغتي العربية ليست بالقدر الذي يجعلنى أدرك معنى هذه الآية بدقة ، وأعتقد بأن الحديث الشريف تجاه ، شرب الخمر واضح تماما ومتمشيا مع ما جاء في القرآن .

لا يوجد في فكري أدنى شك في هذا الأمر ولكنني أيضا أود أن أكون متأكدة تماما في تقديم الاحابة المقنعة هؤلاء الذين يقعنون في أغراء الخمر وفي امكانهم الاقلاع عنها .

السؤال الخامس :

إن مدمني المخدرات يتزايد عددهم يوما بعد يوم وبالتالي يعرضون صحتهم للضرر وكذلك صحة هؤلاء الذين يقعنون في حبائطهم .

ومع ذلك فإن الكثير من الناس يعتقدون بأن تعاطي المخدرات من وقت لآخر غير ضار وبالتالي فإنهم يعرضون على ذويهم وأصدقائهم المشاركة في تعاطي هذا المخدر ...

ما السورة أو الحديث الذي يحرم تعاطي المخدرات؟

السؤال السادس :

ان التليفزيون يبدو لي كوباء ، خطورته تتساوى مع الحشر والمخدرات ولكن على المدى البعيد .

لقد لاحظت أن الناس يرغبون كثيراً في مشاهدة الأفلام الأمريكية عن مشاهدتهم للمحاضرات أو الأخبار الفى يمكن أن تعلمهم شيئاً ذات قيمة ، أو أنهم يشترون كافة أنواع شرائط الفيديو الضارة للعقل .

انت أخشى بأن هذه الأفلام والشرائط تحمل العنف إلى بلد لازالت الحياة فيه هادئة حيث أن الطرقات أكثر أمناً فيها عن البلد الغريبة ، وأعتقد أنه من المؤسف أن أرى المصريين الذين يجدهم في أغلب الأوقات يبدون اعجابهم بأوروبا يقلدون بعض عاداتهم السيئة مثل ارتداء الملابس الخليعة ، وشرب الخمر ومن جهة أخرى فإن مشاهدتهم للتليفزيون تمنعهم من القراءة التي نصت عليها بوضوح السورة رقم (٩٦)^(١)، وتعنفهم من ارتياز المساجد التي أقامها الناس بتوفيق من الله بدلاً من مشاهدتها في التليفزيون فقط حيث أن الانسان لا يشعر بعظمتها إلا عند تأدبة الصلاة فيها .

(١) سورة (العلق) وهي أول ما نزل من القرآن .

اننى لـُحاول جاهدة لإقناع ابنتا بأن تحسن اختيار ما تشاهده في التليفزيون ولكن هناك صعوبة كبيرة في منها من مشاهدة ما يعرضه التليفزيون في منازل الأصدقاء الذين نتزاور معهم .

اننى أدرك بأن صورة الإنسان أو الحيوان يحرمه القرآن ولكن القرآن لا يتعارض مع العلم ، وبالتالي فإنه يبلو لي بأن البراجع التي تزيد معرفة الناس هي التي يجب أن تناجها لكي يشاهدها المسلمون .

سوف أكون شاكرة لتوضيح هذه النقطة حيث اننى أرى الكثير من الناس الذين يتصرفون تصرفًا إسلاميًّا بازوالوا يشاهدون التليفزيون بكثرة للدرجة أنهم يؤجلون الصلاة حتى ينتهي (المسلسل) .

السؤال السابع :

لقد ذكر البخاري في حديث له :

« قال ربيع ، لقد رأيت الرسول يصلى وهو يعتلى ركبته في الاتجاه الذي تقصده ناقته » .

هل يمكنني أن أسعدل من هذا الحديث أنه يجوز أن أؤدي الصلاة بالطائرة أو بالعربة أثناء الطيران أو السير حتى لا أوجل العديد من الصلوات ؟

السؤال الثامن :

اننى أدرك بأن على المسلم أن يكون رحيمًا بأى مخلوق حى ، والقرآن يوصى بأن تنقل الأحمال على الحمار ، على ما ذكر ، وقد ذكر في الحديث قصة (هارلوت) التي أنقذت نفسها عندما نزلت

إلى البتر لاحضار الماء ل الكلب عطشان وكذلك المرأة التي ستدخل النار لأنها قيدت قطفتها و تركتها تموت جوعاً .

إن القسوة ضد الحيوانات ، حقيقة تثير الألم في نفسى وكذلك أيضاً الطفل الذى يريدنى أن أجمع كل القطط الضالة من الطريق وأحضرها للمنزل لرعايتها .

هل هناك سورة أخرى أو حديث يمكنني أن أتعلمها وأن أذكرها
لمؤلاء الذين يؤذون الحيوانات ؟

السؤال التاسع :

هل من خلق المسلم أن يستخدم طفلاً عمره أربع سنوات ، أو
خمس سنوات أو ست سنوات في خدمته بدلاً من مساعدته للذهاب
إلى المدرسة ؟

أنت أدرك بأن الله سبحانه وتعالى يفضل (حبر) الطالب على دم
الشهيد وبأن العلم يجب السعي إليه من بده الخلق حتى القبر وأن
يطلب ولو في الصين .

السؤال العاشر :

ما هي قيمة الوعود في الإسلام ، هل يستقيم الأخلاقي دون
الإياع إلى الله ؟

هل التسب في ضياع الوقت يبرر دون عقاب (الوقت المخصص
للك) وبخاصة في الجلوس طوال اليوم في حين أن الواجبات قد أهملت
ومصالح الآخرين قد تعطلت ؟
أليس الوقت هو جوهر الحياة ؟

السؤال الحادى عشر :

لقد عرف الإسلام بأنه أنظف الأديان في العالم ، فلا بد للمرء من تأدبة الصلاة خمس مرات يوميا ولا يمكنه تأدبتها دون الوضوء وكذلك تأدبة الصلاة بملابس نظيفة .

أنتي أدرك أنه لا يمكن الجمع بين الإسلام وال المسلمين ، ومع ذلك فأنتي أصم عندما أذهب للصلاة بالمسجد وأجد السجاجيد في غاية من الفناراة .

في العام الماضي ذهينا في زيارة إلى جبل سيناء ووجدنا هناك مسجدا صغيرا استخدمه السائحون الألمان كمكان للراحة يأكلون فيه شرائح الخنزير ويشربون البيرة فلم يسعنا إلا أن نقوم بنطافته ونرفع زجاجات البيرة وما تبقى من طعامهم .

أنتي أرق قصاصة من مراسيل صحيفة « لي موند » ، الذي أبدى فيها الصحفى دهشته من الضوضاء ، قائلا : « أليس هذا تلوثا » . وأخيرا وليس آخرها ، لقد شاهدت عند سفح جبل التور القريب من مكة – صفحات من القرآن الكريم مبعثرة على الأرض ، وقرب منها جيفة شاه وعندما قام زوجى بالتقاط هذه الصفحات من القرآن ، كان هناك مواطن يقف بالقرب منا ، لقد قال موضحا أنه ليس لديهم حاليا مينيون « أليس من واجب كل مسلم أن يعمل على أن تكون الأماكن المقدسة وأماكن العبادة وما حولها على الأقل نظيفة ؟

أليس نحن الذين نعرض للخطر احتفالات ذخول الناس في الإسلام إذا كان سلوكنا عكس ما هو مطلوب منا ، وعكس ما يطالبنا به الإسلام ؟

السؤال الثاني عشر :

- (أ) هل الشيطان يمكن رؤيته من الناس ، أعني على الأرض ؟
أنتي أفكـر في حالة مارتن لوثر .
- (ب) أين أرواح الموتى الذين يتـظـرون يوم القيـمة ؟
- (ج) هل كل غير المسلمين مصيرهم النار ، أم هـم هـؤـلـاءـ الـذـين ولـدوا بـعـدـ ظـهـورـ إـلـاسـلـامـ منـ الـذـينـ جاءـهـمـ الدـلـيلـ وـتـكـرـواـ لـهـ ؟
- (د) هل حقيقة أن هـؤـلـاءـ الـذـينـ كـتـبـتـ عـلـيـهـمـ النـارـ سـيـظـلـلـونـ بـهـاـ دـوـاماـ ، أوـ أـنـهـمـ سـيـظـلـلـونـ بـهـاـ لـوقـتـ يـكـفـيـ لـتـكـفـيرـ عـنـ خـطـايـاهـمـ كـمـكـانـ لـلـعـبورـ يـتـبـعـهـ بـوصـولـهـ إـلـىـ الجـنـةـ ؟
- إن القرآن يذكر حالدين فيها أبداً ، ولكن أليس في قدرة الله أن يقرر شيئاً آخر في نهاية المطاف ؟

★★★

الوَاقِعُ الْإِسْلَامِيُّ ...
فِي قَفْصِ الْاْتَهَامِ ...

إذا كانت نبوة المفكر البريطاني « برنارد شو » عن إنتشار الإسلام في المائة عام القادمة — بحيث تجد الحضارة الغربية نفسها مضطرة إلى معايشته وتقبله — على نحو ما هو واقع اليوم في بعض أقطار هذه الحضارة .. أقول :

أنه بالرغم من عدم تحقق هذه النبوة بحيث تصبح تيارا عقديا يهز أركان هذه الحضارة ورموزها الفكرية . إلا أنه من الممكن القول بأن مرد هذه الظاهرة يرجع في أسبابه وعوامله إلى المسلمين أنفسهم .. حيث تركوا هذا للمصادفة البحتة ، وللرغبة الشخصية ولانهيار بعض المفكرين يقيم هنا الدين وعقيدته وملئه ...

والطريق أمام الإسلام لا يزال مفتوحا على فارات العالم كله من اليابان في أقصى الشرق إلى أميركا في أقصى الغرب ، بالرغم من محاولات المؤسسات التقليدية — المعروفة بدعائهما للإسلام — في الوقوف أمام تياره المتذبذب ، والحلولة بينه وبين الملاليين الباحثة عن الحقيقة والحق ..

غير أنه لا يمكن إغفال الدور الذي تقوم به هذه المؤسسات « التقليدية » في الوقوف أمام مد الإسلام الراهن .

كما لا يمكن إغفال عجز المؤسسات الإسلامية وتفصيرها في هذا المجال الذي هو (جهاد اليوم) على كل مفكر وعالم .

لقد فتحت اليابان — بعد الحرب العالمية الثانية — أبوابها أمام الأديان المعروفة في العالم ، وكانت اليابان قد فعلت ذلك في مطلع هذا القرن في حaulة لنبذ « وثيتها » القدحية التي لم تعد تلامي حركة الحياة والعلم في عصرنا الحاضر .. وقد سافر إلى اليابان عام ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٦ م الشیخ على الجرجاني صاحب جريدة « الارشاد » التي كانت تصدر أندما في « مصر المغروسة » ، ومكث هناك ستة أشهر أسلم فيها على يدیه أثنا عشر ألف ياباني ويابانية .

ومنذ هذه الرحلة التي قام بها « الشیخ على » لم يتم داعية بمثل هذا العمل ، ولم تلتقت أية دولة مسلمة أو أية منظمة إسلامية إلى الاهتمام بهذه الدولة التي تحمل مكانتها في مقدمة الدول ، ولا تزال الدعوة الإسلامية في اليابان تتعزى الهويتى في وجه أعاصر التبشير ، وحملات الكراهية والسطخ ضد الإسلام والمسلمين ، ولا يزال عدد المسلمين في اليابان متواضعاً إلى هذا اليوم .. ولا يزال عدد المساجد قليلاً لا يتجاوز أصابع اليد . بالرغم من جهود جمعية « مسلمي اليابان » التي أسسها بعض طلبة اليابان من خريجي الأزهر ، وبالرغم من الحركة النشطة التي يقودها المركز الإسلامي الياباني بقيادة الدكتور أبو بكر .

وفي — كوريا الجنوبيه — حذا المئلون .. حلو اليابان .. في اعلان « كوريا الجنوبيه » بذلك مفتوحاً أمام كل الأديان ، وقد عرف الكوريون الإسلام عن طريق الكتبية التركية التي انضمت إلى قوات الأمم المتحدة للحفاظ على السلام والأمن في هذه الدولة — بعد

الغرب العالمية الثانية — لقد لفت الجنود الأتراك نظر الكوريين وهم يبولون وجوههم شطر الكعبة وهم يرفعون أصواتهم بالأذان في سماء كوريا ، وهم يتوضأون قبل كل صلاة ويتحررون في كل حركاتهم الطهارة والنظافة . وقد دخل في الإسلام منذ ذلك اليوم بضعة ألف قليلة ، ولا تزال هذه الألوف في دائرة هذه الأرقام بالرغم من مضي حوالي أربعين عاما على قيام الجنود الأتراك بهذه المهمة ، وبالرغم من وجود بعض المساجد وقيام مركز إسلامي في « سيل » العاصمة .

لقد تلقيت دعوة للسفر إلى كوريا الجنوبية في عام ١٩٧٧ م ودعיתי إلى بيت سفيرها — قبل السفر — إلى حفل عشاء في بيته ، ولا أنسى ما قاله السفير لي في هذا الحفل وهذه المقابلة :

لقد ذكر السفير أن بلاده ترحب بدعوة الإسلام ، وأنتمي أن يكون لهم السبق في هذا المجال . فنحن الكوريين — والكلام للسفر — ليس عندنا حساسية من هذا الدين . بخلاف غيره من الأديان التي افترت دائما بالغزو والجيوش والأساطيل ..

ولكن المسلمين كعادتهم غفلوا أو تغافلوا .. وكانت النتيجة خسارة كبرى للإسلام في مجال هو مجاله وفي أرض هي « جغرافيا » أرضه ، وفي شعب هو — مهما قيل — شعب شرق كشعبه .

لقد تكررت مأساة « النبيذين في الهند » حين كتب زعماؤهم إلى الأزهر منذ خمسين عاما يطلبون منه إنقاذهما من وهذه الطبقية ، ومن ذل العبودية .

لقد ذهب وفد من الأزهر برئاسة أحد كبار علمائه وهو المرحوم

الشيخ ابراهيم الجبال ولكن تقريره بقى أملا وحلما تتعيه الأيام
والليالي ...

إذا أمعننا بأبصارنا من الشرق الأقصى ف كوريا واليابان إلى
الغرب الأقصى في أوربا وأميركا حيث يسيطر القلق والخوف في كل
مكان فلسوف نجد ونرى :

أن عدد المهووسين والمتائين ومدمى الأفيون والمهاوين في أوربا
وأميركا يهدى بكارثة ، وأن مقدار ما أتفق في العلم الماضي على
المخدرات وحبوب الملوسة تتجاوز سبعة عشر ألف مليون من
الدولارات ، وقد ظهرت الأمراض المستعصية ، والعلل القاتلة في
جسم هذه الحضارة التي توشك على السقوط والانهيار ..

وكما يقول المرحوم العلامة الدكتور محمد اقبال : أن أوربا تفلس ،
والروح قوت عطشا في سرابها الخادع .. فيها حضارة؟ .. نعم ..
ولكنها حضارة تختضر وإن لم تمت حتى أنها فلسوف تتحرر غدا
وتذهب . فأساس هذه الحضارة منها لا يتحمل صدمة . لقد ذهبت
هذه الحضارة تبحث عن الروح في المعدة . تفعل هذا الرأسمالية كما
تفعل هذا الشيوعية . إن هذه وتلك تعيشان على الشره والنهامة
وخداع الإنسانية . فالشيوعية تقضي على الدين . والرأسمالية تقضي
على الروح . وكلها موت للإنسان الذي استخلفه الله في هذه
الأرض .

ان هذا الذى قاله العلامة الدكتور محمد اقبال — قبل خمسين عاماً — قاله المفكر الفرنسي المسلم العلامة جارودى .

فقد وقف يقول في حاضرة له في مدينة باريس منذ شهور « اتنا بعد خمسة قرون من سيادة الغرب سيادة نامة — بدون منازع — يمكن تلخيص نتائج حضارته فيما يلى :

• على الصعيد الاجتماعي : لقد صرف للسلح على سطح هذه الكورة الأرضية عام ١٩٨٢ م مبلغ ٦٥٠ مليار دولار ، ولو وزع هذا المبلغ على أفراد البشرية للأصاب الفرد الواحد (٤) أطنان من المتفجرات ، وفي نفس تلك السنة توفى في العالم الثالث خمسون مليوناً بسبب الجوع أو سوء التغذية .

ومن الصعب أن نسمى خط سير الحضارة الغربية ، وتوصلها إلى امكانية تدمير الحياة على سطح الأرض وإنهاء ثلاثة ملايين سنة من تاريخ البشر ، لا يمكن أن نسمى ذلك بحال من الأحوال تقدماً .

• أما على المستوى الاقتصادي ، الذي توجهه فكرة الفو والزيادة ، فهم يطلبون زيادة الانتاج سواء أكان مفيداً أو ضاراً أو حتى هميتاً .

• وبالنسبة للنواحي السياسية والعلاقات الداخلية والخارجية بين الدول ، فالعنف هو الذي يسيرها ، أي مصالح الأشخاص والطبقات والشعوب التي تتصارع فيها صراعاً رهيباً .

• وتميز النواحي الثقافية بفقدان المعنى والمغزى هذه الحياة ، فهم يريدون أن يكون الفن للفن ، والعلم للعلم ، والاختصاص مجرد

الاختصاص وأن تكون الحياة في سبيل لا شيء .

- أما عن العقيدة فقد أضاعوا معنى السيطرة العلوية الالهية ، وبذلك تم اغفال البعد الحقيقى للإنسان فى إنسانيته ، وتعذر امكان الفصل بين النظام والفوضى الموجودة .

ومن العجيب والمأسوف معا .. أن بوادر سقوط الحضارة الغربية وإنهاها كانت معروفة قبل وفاة منظر الإسلام وشاعره الأكبر العلامة أقبال ، ومن العجب أيضاً أن كثيراً من الغربيين أنفسهم قد كتبوا يخللون أسباب هذا السقوط والأنهيار بالابتعاد عن العقيدة وإيمان ، وأن مؤسسات الغرب الروحية فقدت تأثيرها الذى كان معروفاً في غابر الأزمان وكان البحث عن دين يلامن التطور ويخاطب إنسان العصر بلغة بعيدة عن القموم و والتخلف هو الحل الأمثل لإنقاذ هذه الحضارة من مصيرها الأسود ومن نهايتها التي ستدمّر كل شيء فوق هنا الكوكب ، وكان اسلام اللورد الانجليزي هيدل « في مطلع هذا القرن اعلاناً عن هوية هذا الدين المرتفع ، ودعوة إلى الإيمان به وفهمه من غير كراهية ولا تعصب .

ولكتنا تركنا المجال خالياً أمام المشعوذين والدجالجة وتخلينا عن دورنا التاريخي في هذه المرحلة الإنسانية الفاصلة .

وكان من أمر ذلك ترك المجال واسعاً أمام رجل اسمه المهارishi ، وأخر اسمه هاري كريشنا ، وثالث اسمه « ص مون » ، وكان من أمر ذلك أيضاً استفحال وباء البهائية والقاديانية ، وغيرهما من الدعوات المشبوهة والمارقة .

وقد ساعد على ذلك كله . تشرذم مقيت ، وتعصب مذهبى بغيض ، وقدان القائد المسلم المخلص ، وإنعدام الرأى الإسلامى المتفق ، وغياب المركز الإسلامى المؤثر وكلها آفات يجب أن تتخلص منها ، وأمراض لابد من علاجها والقضاء عليها .

ومن الانصاف أن نسجل لجماعة (الجليل) جهودها المشكور في هذا المقل ودورها المخلص في هذا المجال . فحيثما وليت وجهات الى أى بلد .. في الشرق أو في الغرب لمست أثر هؤلاء الدعاة في انخراطهم وتبردهم الى الله .

ولم تفت الفرصة . بل لا تزال في بدايتها رغم هذه العقيبات العارضة ، أقول هذا عن تجربة ، وعن احتكاك بشعوب العرب وطبقاته المفقة الوعاء . وفيما نشرته صفحة الأهرام الدينية — قبل شهر — عن اسلام نائب رئيس محكمة العمل التموالية . آية وشاهد على هذه القضية . فالاسلام كما يقول « رجاء جارودى » هو الحل لمشكلات أوروبا الراهنة .. وهو سقينة النجاة لشعوبها الحائرة الفلقة وهو طريق النجاة لها في هذه المحن ، وفي هذه الكارثة .

المهم أن نعرف كيف نبدأ . وأن نحسن اختيار الدعاة قبل أن نبدأ ، وأن نعيد النظر في أسلوبنا الذى ثبت فشله وفي المنظمات والمراكز الإسلامية التي لا يتجاوز عملها نطاق الوظيفة والمنكتب ، وأن يتفق المسلمون على خطة موحدة بعيدة عن الهوى المعرض ، وعن الخلافات السياسية التي تحجب عن الضمان والقلوب سنى الاسلام الباهر المشرق ، والتي تحول بين الاسلام وانتشاره في المغرب أو المشرق .

وعلى الأزهر أن يعيد النظر في كثير من خططه ، ومن مناهجه ،
ليبقى كما يتمنى المسلمون مثارة علم ومعرفة وعلم نور وهداية .

ولكن ... أين دعاتنا في الشرق أو الغرب ؟ أين مبعوثونا .. أين الدعاة منا ؟ يقول الدكتور عبد الحليم محمود^(١) « لا شيء من ذلك مطلقاً . ومن المعروف أن مبعوثي الحكومة ومبعوثي الأزهر إلى الأقطار الخارجية : إنما بعثوا لتعليم الحساب والخط والإملاء واللغة العربية في مدارس إسلامية ابتدائية أو اعدادية أو ثانوية ، ليس لنا في الخارج قط مبعوثون ، وإذا كان الدين الإسلامي ينتشر فإنما ينتشر بقوته الذاتية . رغم المجموع عليه ، ورغم العقبات التي تتعارض طرقه .

ولنقارن ذلك كله بالرسائل التبشرية ، ومن أمامها ومن خلفها : المستشفيات والملاجئ ، والمدارس والمعاهد ، والممال يغدق ، والوظائف تعبأ ؛ ولتصور كفتى ميزان أحدهما لا شيء فيها وتلك هي كفة المسلمين بالنسبة للإسلام والأخرى فيها كل شيء . وتلك هي كفة المسيحيين بالنسبة للمسيحية .

وكتيراً ما قال جمال الدين : أن الغربيين يسمون فكرهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للMuslimين ، فإذا بهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء — مستكينين ، فرقت بينهم الأهواء والشهوات وقد عدت

(١) مجلة الأزهر - ربى ١٣٩٨ هـ .

بهم الصغار وانصرفوا عن عظام الأمور ، وأصبحوا مستذلين ، ولو كان الإسلام ديناً قوياً لما كان المسلمين هكذا ..

ينظر الغربيون إلى المسلمين في العصر الحاضر ، وينسون شيئاً : ينسون أن المسلمين في العصر الحاضر غير مستمسكين بالإسلام ، وتکاد الصلة التي بينهم وبينه تكون مجرد صلة اجتماعية ، وينسون عظمة المسلمين وقوتهم أيام كانوا مستمسكين بالإسلام ، وأيام أن كانت الدنيا لهم .

ولعل المسلمين يعودون إلى دينهم صافياً نقياً . ويستمسكون به فيكونون مرآة حقيقة يتمثل فيها الإسلام قوياً ساماً .

وأداب الإسلام حقيقة كفيلة بأن تجعل من المسلم رجلاً قوياً مهذباً كريماً للنفس ، ولكن المسلمين أبعدوا كل البعد عن الإسلام .

ولتشهد مثلاً بسيطاً ، مسألة النظافة .. لقد دعا الإسلام إلى النظافة دعوة لم يدعها دين من الأديان ، ولم يدعها مذهب من المذاهب قدّيماً أو حديثاً ، ولكن إذا نظرنا إلى الأقاليم ، الإسلامية أو إلى الأحياء الإسلامية ، وقارناها بالأقاليم أو الأحياء الأخرى . نجد الفرق واضحـاً ، سواءً كان في مصر ، أم في تونس ، أم في مراكش ، أم في غير ذلك من البلدان .

ولنأخذ مسألة أهم من ذلك ، مسألة اتحاد الأمم الإسلامية .

فقد دعا إليها الإسلام في صور لا حصر لها ، وبأساليب لا حد لتنوعها مهدداً متوعداً تارةً . مرغها محباً تارةً أخرى ، متهدداً عن التمرات المادية والدينية للاتحاد ، ومع ذلك فقد كان كل ذلك

صرخة في وادٍ ، وكان المسلمين عن الاتحاد صم بكم عمي فهم لا يعقلون .

وخذ آداب الإسلام واحداً فواحداً وأنظر إلى حال المسلمين .

هل تجد توافقاً وانسجاماً بين المسلمين والإسلام .

يقول جمال الدين :

إذا أردنا أن ندعو للإسلام ، فليكن أول ما نبدأ به أن نبرهن للغربيين أننا لستنا مسلمين !؟

وبسبب آخر لعدم انتشار الإسلام آت من المسلمين أنفسهم ..

منذ سنوات جاء أحد الأميركيان بمكث في مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الإسلام ، واتصل بالهيئات التي تمثل الإسلام . فبلغت الخبرة منها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الإسلام .

ومن الطبيعي أن يتوجه الذهن إلى كتب علم الكلام ، فهي كتب الدفاع عن العقيدة .. ولكن إذا نظرنا في كتب علم الكلام تجد أنها جدال لا ينتهي بين الذين يسيرون فيه . بالربيع ، وابتغاء الفتنة ، والجدال فيها يبدأ ويعاد ولا ينتهي .

ثم هي تصور — على المخصوص — المستوى الثقافي للعصور الوسطى ، ولا تقترب بصلة إلى الأبحاث الحديثة . ومن الطبيعي أن تكون كذلك لأنها ألفت في العصور الماضية . وما ألف منها على تحطتها اتباعاً للأباء والأجداد ، وبعضاً للخروج عن المألوف .

وإذا لم نأخذ الدين من كتب علم الكلام فهل نأخذه من كتب التفسير؟

لقد انتهى تفسير القرآن إلى أن أصبح مسرحاً يبارى فيه النحويون واللغويون وبلاغيو العصور المتأخرة، وغشت هذه النواحي على الهدایة لما أنزل الكتاب من أجله أى الهدایة للأقوام.

ان غرضنا الدين الإسلامي على هذا الخط من العرض . جعل كتابنا لا يثير فهمها للأجانب عنا . ولو لم يكن في الإسلام تلك القوة الذاتية التي تستولى على القلوب وتعمر الأفلاة لضاف بهذه الكتب المسلمين أنفسهم .. الإسلام أذن بحاجة إلى عرضة عرضنا سهلاً ميسراً قوياً ، وبأساليب متعددة وصور مختلفة حتى تلافى هنا التقصير ..

ومن أكبر عوامل تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم يتوع خاص ، وظن هؤلاء — إلا من رحم ربك — أن الأمة خلقت لهم ، وأن لهم أن يفعلوا بها ما يشاءون ، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى إذا حاولوا محاول أن يقيّمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره .

وجاء العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء ، المتقلبون في نعماهم ، الضاربون بالملاعق في حلائهم ، وأفتروا لهم بجواز قتل ذلك الناصح بحججة أنه شق عصا الطاعة ، وخرج عن الجماعة .

ولقد عهد الإسلام إلى العلماء بتفعيم عوج الأمراء ، وكانوا في الدول الإسلامية الفاضلة بمنابة المجالس النيابية في هذا العصر ، يسيطرون على الأمة ، ويصدون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة ، وهكذا كانت تستقيم الأمور لأن أكثر أولئك العلماء كانوا متحققين بالزهد ، متخلين بالورع ، متخلين عن حظوظ الدنيا ، لا يهتمون أغضب الملك الظالم الجبار أم رضي . فكان الخلاف والملوك يرهبونهم ، ويخشون مخالفتهم ، لما يعلمون من انقياد العامة لهم ، واعتقاد الأمة بهم ، إلا أنه بمرور الأيام خلف من بعد مؤلاء خلف اختنوا العلم مهنة للتعيش ، وجعلوا الدين مصيدة للدنيا ، فسرعوا للفاسقين من الأمراء أشنع موبقاتهم ، وأباحوا لهم باسم الدين خرق حدود الدين ، هنا وال العامة المساكين مخدوعون بعظمة عمامهم هؤلاء العلماء ، وعلو مناصبهم ، يظنون فتياهم صحيحة ، وآراءهم موافقة للشريعة ، والفساد بذلك يعظم ، ومصالح الأمة تذهب ، والإسلام يتقهقر ، والعدو يعلو ويتسمر ، وكل هذا إثنة في رقب هؤلاء العلماء^(١) .

يقول مقاتل بن سليمان :

دخلت على « حماد بن سلمة » فإذا ليس في البيت إلا حصیر وهو جالس وفي يده مصحف يقرأ فيه وجواب فيه علمه — أى كتبه — ومطهرة يتوضأ منها . فبینا أنا جالس إذ دق الباب فقال : يا حبیبة

(١) ملماذا تأثر المسلمين — شکب أرسلان ص ٤٣

آخرجي فأنظرى من هذا ؟ فقلت رسول محمد بن سليمان (أى الحاكم) . فاذن له فدخل .

فقال : أما بعد : فصيبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته . وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها . فقال : يا حبيبة هلم الدواة ، ثم قال لي : أقلب الكتاب واكتب : أما بعد : فأنت صيبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته ، أنا أدركتا العلماء وهم لا يأتون أحدا ، فإن وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدا لك ، وأن أتيتني فلا تأتني بخيлик ورجلك فلا أتصحلك ولا أتصحع الا نفسي والسلام ١٩.

فيينا أنا جالس اذ دق الباب . فقال : يا حبيبة آخرجي فأنظرى من هنا ؟ قالت : محمد بن سليمان (أى الحاكم) . قال : قوله له : يدخل وحده ، فدخل وجلس بين يديه . ثم ابتدأ فقال : مال إذا نظرت إليك امتلأت رعبا ؟

قال حماد : حدثني ثابت البناي قال : سمعت أنسا يقول : سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء .. وإذا أراد أن يكنز الكنوز هاب من كل شيء » ٢٠..

ويرى الإمام الغزالى — أن الصورة الكبرى في هذا الفساد الشامل ، والضعف في الدين ، والامحلال في الأخلاق — تقع على العلماء ورجال الدين ، وهم السبب الأول في فساد هذه الأوضاع ، لأنهم ملعن الأمة ، وإذا فسد الملح فما الذي يصلحه ؟

ثم يذكر الإمام الغزالى كيف مرضت القلوب ، وأشتدت الغفلة عن المعاد ويدرك من أسباب ذلك مرض العلماء واعتلالهم وهم الأطباء ، فإن الأطباء هم العلماء ، وقد أستولى عليهم المرض ، فالطبيب المريض قلبا يلتفت إلى علاج نفسه ، فلهذا صار الماء عضالا ، والمرض مزمنا ، واندرس هذا العلم ، وأقبل على حب الدنيا ، وعلى أعمال ظاهرها عادات ، وباطئها عادات ومراءات .. وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك لفساد العلماء ، فلولا القضاة السوء ، والعلماء السوء لقل فساد الملوك ..

عندما وقعت الحرب بين مصر الحبشة في عهد الخديوي اسماعيل أشار عليه بعض رجال حاشيته ، أن يجمع علماء الأزهر على قراءة البخاري طوال أيام هذه الحرب ، حتى يتضمن جيشه النصر .

ورصد الخديوي هذه المهمة ألف الجنبيات ينفق منها على العلماء والقراء المغاربة لهذا الأمر .. وانتظر الخديوي قدوم البشريات بالانتصار والفتح ، فجاء الأمر على عكس ما كان يأمل ويتوقع في هذه الحرب . فجمع العلماء ثم صاح فيه غاضبا : إما انكم لستم بعلماء أو أن الذى تقرؤونه ليس هو « البخاري » .

فقام من ينتمي شيخ وصاح في وجه الخديوى قائلا :

— يا اسماعيل .. انا مهما دعونا وقرأنا فلن تتصر في هذه الحرب .. وفوجيء الخديوى بهذا الرد .. ثم وجه بعد ذلك سؤاله الى هذا الشيخ :

— ولم لا أنتصر في هذه الحرب أيها الشیخ؟

قال الشیخ :

— السبب فيك يا اسماعيل ، فقد رأيتك تظلم وتفسد في الأرض
ولم يرتفع منا صوت يقول لك : فف عند هذا الحد ، والرسول
عليه السلام يقول :

« لتأمرن بالمعروف ولنہون عن المنکر ، أو لیسلطن الله علیکم
شرارکم فیسو منکم سوء العذاب ثم یدعو خیارکم فلا يستجاب
لهم .. »

وأما الآن — كما يقول الإمام الغزالى — فقد قبدت الأطماء ألسن
العلماء فسكتوا ، وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحواهم فلم
ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعية
يفساد الملوك ، وفساد الملوك يفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء
حب الممال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على محاسبة
الارذال ، فكيف بواجهة الملوك والحكام؟ وهذا هو الواقع
الإسلامي في كل مكان ..

أَسْئِلَةٌ حَدِيثَةٌ ..
فِي قَضِيَّةٍ قَدِيمَةٍ ..

- في المجموعة الأولى من هذه الأسئلة تقول الأخت (أ - ح) :
 - كيف نوفق بين الاعتقاد بأن الإنسان يملك ارادته الحرة في اختيار بعض ما يؤمن به ويعتقد في هذه الحياة .. وأن الإيمان والكفر ، وفعل الخير أو الشر كلها نتائج لهذا الاختيار الحر من جانب الإنسان ..؟
 - كيف نوفق بين هذا الاعتقاد الذي يؤكد مسؤولية الإنسان عن كل عمل يقع منه في هذه الحياة ..
 - وبين اعتقاد آخر يقرر : بأن كل ما يقع في هذا الكون إنما يقع بإرادة الله ..؟

أنتي أشعر بحيرة بالغة تجاه هذا القضية .. كما لا أجد جواباً عند من نقاشتهم من المسلمين حللاً لهذه المشكلة ..

- فكيف نوفق بين هذا التناقض ؟ وكيف يكون الإنسان حرًا مطلقاً في جانب بينما يبدو أسيراً مقيداً في جانب آخر .. ؟ ثم .. كيف نوفق بين قول الله تعالى : « يصل من يشاء وبهدى من يشاء » لأنه ما دام الله هو الذي يهدى ، والمداية منه سبحانه وتعالى وحده ..

فلمَّا اللوم على غير المؤمنين إذا كان الله لم يهدِهم .. ؟

★★★

ولقول للاخت المسلمة (أرجح) :

هناك أمور تحدث وتم بمحض القدرة العليا ، وعلى وفق المشيئه الإلهية^(١) وحدها ، وهى تنفذ في الناس طوعاً أو كرها ، سواء شعر بها الناس أو لم يشعروا .

فالعقل والقدر وما يودع فيها من ذكاء أو غباء والأمزجة وما يلابسها من هدوء أو عنف ، والأجسام وما تكون عليه من طول أو قصر ، وجمال أو قبح ، والشخصيات وما تطبع عليه من امتداد أو انكماش ، والزمان الذي تولدين فيه وتختين به ، والبيئة التي تنشئين في ظلها ، والوالدان اللذان تحدرين منها ، وما تتركه الوارثة في دمك من غرائز ومويل : والحياة والموت ، والصحة والمرض ، والسعنة والضيق ، ذلك ومثله ، لا يد للإنسان فيه .

فأصابع القدر وحدها هي التي تتحرك ظاهرة وباطنة ، لتوجه الحياة كما يريد صاحب الحياة .

« إن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم^(٢) .

وختى عن البيان ، أن شيئاً من هذا ليس محل مواجهة ولا موضع حساب لأن هنا شيء من الخصالص التي لا قبل لنا بها ، ولا سيل لنا إليها وفي هذا يقول الله عز وجل :

(١) عبادة الملم : الشيخ محمد بن الزراري ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) آل عمران : ٦ .

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانُ فِيمُ الْخَيْرَةِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ
وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُ صُنُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ،
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ ،
وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ (١) .

وَإِلَيْهِنَّ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْقُدْرِ وَاجِبٌ ، وَالْأَدَلَةُ (٢) عَلَيْهِ وَاضْحَى
ظَاهِرَةً .

أُمَّا الْقَسْمُ الثَّانِي مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقُدْرِ ، فَيَتَعَلَّقُ بِأَعْمَالِ عَكْسِ
الْأُولَى .

وَنَحْنُ نَشْعُرُ حِينَ أَدَالَهَا بِيَقْظَةٍ عَقُولُنَا ، وَحَرْكَةٍ مِيَولَنَا ، وَرَقَابَةٍ
ضَمَائِرَنَا . فَمَا مَدِيَ صَلَتْنَا بِهَا؟ وَمَا بَعْنَى نَسْبَةُ الْقُدْرِ إِلَيْهَا؟

(١) القصص : ٦٨ : ٧٠ .

(٢) جاء في العهد القديم :

هُوَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ . وَلَا يُوجَدُ مِنْ يَمْنَعُ بِهِ أَوْ يَقُولُ لَهُ مَلِذَا تَفْعَلُ « دَا : ٤ - ٣٥ ». كَما وَرَدَ في سُفْرِ أَبِيرُبِ التَّوْرُلِ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَسْطَعْمُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ . كَمَا جَاءَ أَيْضًا : مَعْلُومَةُ عَنْدِ الرَّبِّ مَدَ الْأَزْلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ : أَعْ : ١٥ - ١٨ . وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَالُ كُوَنَهُ أَرْبِلَا فَقَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنَّ عَنْهُ بِالْعَالَمِ لَمْ يَسْتَأْنَعْ بِهِ أَنَّهُ مَعْلُومٌ . كَمَا كَانَ لَدَهُ أَزْلًا قَلِيلٌ وَجُودُ هَذَا الْعَالَمِ إِلَيْهِ أَنْ يَتَسَوَّى ، مَعْلُومٌ لَمَا يَفْعُلُ فِي مُلْكِهِ لَا حَمْدُ لَهُ مَكَانًا وَزَمْنًا ، وَلَذِكْرِكَ أَكَانَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْعِهْدِ الْقَدِيمِ اسْمُ « الْمَصْوُرِ » وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ لِلْأَكْبَرِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَصْرُورُ الْكَلَاثَاتِ خَارِجُهَا وَدَاخِلُهَا وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ لَدِيهِ صُورَةٌ حَاضِرَةٌ وَمُسْتَهْرَةٌ لِجَمِيعِ خَلْقَةٍ مِنْهُ وَجَهُوا وَاللَّذُونَ يَوْمُوا .. وَاعْتَدْنَا فِي نَقْلِ هَذِهِ النَّصْرَوْسِ عَلَى مَا كَبَهُ الْقَسْ مُسْوِلُ مُشْرِقٍ فِي كَابَهِ الْقَفْصِ . وَالْقُدْرِ ، وَهَذَا الْكِتَابُ لَا يَتَرَجَّحُ فِي تَصْوِرِهِ عَنِ الْاعْتَدَادِ الْعَامِ حَوْلَ هَذِهِ الْفَضْبَةِ .

الأمر سهل جدا .. أما لماذا ؟ فالليك البيان :
٦ .. إننا نحن باستقلال أرادتنا وقدرتنا فيما نباشر من أعمال تقع
في هذه الدنيا .. ٧

ويكفينا دليلا على ذلك قول الله سبحانه :
٨ وَقَالَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ شاءَ فَلَيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلِكُفْرٍ (١١) .
٩ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٢) .
١٠ بَلْ إِنَّ طَبِيعَةَ الدِّينِ — وَهِيَ التَّكْلِيفُ وَالْإِبْلَاءُ — لَا تَحْقِقُ أَبْلَهُ
مَعَ اسْتِبْدَادِ الإِرَادَةِ وَتَقيِّدِهَا .

وليس هنا موضع سرد الآيات لذلك . فالقرآن كله شواهد بيّنات
وأدلة واضحة ،

لكن .. ما موقف العلم الإلهي إذن من هذا النوع من أعمال
الناس ؟ هو الإحاطة التامة والشمولي الكامل :
١١ عَلِمْهَا عِنْدَ رَبِّ فِي كِتَابٍ لَا يَضْلُلُ رَبِّ وَلَا يَنْسِي (٣) .
١٢ وَلَكِنْ كَيْفَ يَتَفَقَّدُ القَوْلُ بِحُرْبَةِ الإِرَادَةِ وَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَعْمَالَنَا لَنْ
تَخْرُجَ عَنْ دَائِرَةِ الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ الْمُحيَطِ الشَّامِلِ ؟

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

(٣) طه : ٥٢ .

والجواب سهل :

ففى أيام مرأة جلدة صافية وأنت عابسة مقطبة الجبين فعاذًا
تررين؟ سترين صورتك كذا هي عابسة مقطبة .

أى ذنب للمرأة في ذلك؟ أن مهمتها أن تصف وأن تكشف
وهي قد صدق فيما أثبتت لك ، ولو كت ضاحكة الوجه لأثبتت
لك على صفحتها خيالاً ضاحكاً لا شك فيه .

وكذلك العلم الإلهي لا يتصل بالأعمال اتصال تصريف
وتحريك ، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح ، فهي تبع العمل ولا
تبعها العمل .

غاية ما يمتاز به العلم ، أنه لا يكشف الحاضر فقط ولكنه يكشف
كذلك الماضي والمستقبل .

فيري الأشياء على ما كانت عليه ، وعلى ما ستكون عليه ، كما
يراهما وهي كائنة ، سواء بسواء ..

بقي بعد ذلك تفسير ما قررناه من شمول الإرادة العليا ، ومن هيبة
القدرة العليا على المخلائق كافة ، فما معنى ذلك وكيف يتفق مع حرية
الإرادة الإنسانية ؟؟

يقول الله عز وجل :

• يضل من يشاء ويهدى من يشاء ^(١) .

(١) ناطر : ٨

ان الجواب عن ذلك سهل أيضا ، ولن نذهب في بيانه إلى أبعد من كتاب الله لمن شاء أن يفهم .

^٩ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر^(١) ؟

ونحن نجد أن إطلاق المثلية في آية ، تقيده آية أخرى يذكر فيها الاختيار الإنساني صريحا .

أى أن أضلال الله لشخص ، معناه : أن هذا الشخص آثر الغُيُّ
على الرشاد ، فأقره الله على مراده ، وتم له ما يبغى لنفسه .

٤٠ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين (٢).

٤٠ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم (١).

فهل بقى غموض في اطلاق الشيبة لا .

ان معنی قوله « يضل من يشاء » لا يعلو قوله :

٤٠ وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ، الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مِسْأَلَةٍ (٤٠) .

三

١٧ - القسم :

الكتاب المقدس

مکالمہ

١٩٥ : (١) السُّنَّة

وكذلك الحال في « يهدى من يشاء » .

انظرى إلى قيمة الإرادة الإنسانية في قول الحق وهو يتكلّم عن إرادته :

« قل ان الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أتاب ، الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بدّ من الله تطمئن القلوب » (١) .

فهو يهدى إليه من أتاب « أن الله لا يهدى القوم الفاسقين » .

احمل هذا المصباح بين يديك ، وسبرى في نوره بين شتى السور فلن تجدى في دين الله قلقاً أو اضطراباً .

وإنما القلق والأضطراب في عقول الحمقى ، وقلوب الغافلين .

وهنا قد يسأل بعض الناس عن حدود الإرادة الدنيا والعليا في الأفعال ومع أن هذا السؤال لا مير له ففتحت باب الإجابة عنه حتى يظهر السر في نسبة الهدایة والضلال ، تارة الله ، وتارة للإنسان .

هل تعرفين ما يفعله الفلاح في حقله ، انه يلقى البذر ويعهده بالسقي ، وعلى الله الأنبيات والإثار :

تستطيعين أن تسمى الفلاح زارعاً - وأنت صادقة - لقيامه بالسبب . وتستطيعين أن تسمى الحق سبحانه زارعاً لقيامه بالعمل .

« أفرأيتم ما تحرثون ؟ ألم تزرعوه أم غن الزارعون ؟ لو نشاء

(١) الرعد : ٢٧-٢٨ .

لجعلناه حطاماً^(١) .

فما للإنسان في سعيه مثل ما لل فلاح في زرعه .

فازرعى عمرك — ان شئت خيراً فإن بد القدرة سوف تتميئ لك
ورداً يائعاً . أو ازرعه — ان شئت — شرداً فإن بد القدرة تتميئ
شوكاً رائعاً .

«وقل : اعملوا فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»^(٢) .

«سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باستنا ،
قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ أن تتبعون إلا الظن وأن أنتم
الآخرين صون»^(٣) .

وأنظري كيف يرفض القرآن هذه المكابرة الأثمة ، إذ لا يلتفت
للرد عليها حتى لا يكون نقاشها نوعاً من الاعتراف بها .

«وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبdenا من دونه من شيء نحن
ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل إلا البلاغ المبين»^(٤) .

وما أثر هذا البلاغ المبين عند الله وعند الناس ؟ أنه أثر يقطع دابر
المتحججين .

(١) الوالعة : ٦٣ - ٦٥ .

(٢) التوبة : ١٠٥ .

(٣) الأنعام : ١٤٨ .

(٤) النحل : ٣٥ .

٤ رسلا مبشرين ومتشرين لثلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل وكان الله عزيزا حكينا ^(١) .

.. ان هذا ما ينبغي أن نفهمه من القدر ، وما ينبغي فهمه في
النفرة بين القضاء والقدر ، والاختيار المتر جمبع البشر .

لقد دخل رسول الله يوما على الامام علي كرم الله وجهه بعد
صلوة العشاء ، فوجده قد يكر بالتوم ، فقال له ^(٢) .

« هلا قمت من الليل ؟ فقال : يا رسول الله ، أنفسنا يد الله ،
ان شاء بسطها ، وان شاء قبضها ، فغضب رسول الله ^{عليه السلام} ،
وخرج وهو يضرب على فخذه ويقول : وكان الإنسان أكثر شيء
جدلا » .

وسرق أحد اللصوص ، فلما حضر بين يدي عمر رضي الله عنه ،
سأله لم سرقت ؟ فقال قدر الله ذلك ، فقال عمر رضي الله عنه
اضربوه ثلاثة سوطا ، ثم اقطعوا يده ، فقيل له : ولم ؟ فقال : يقطع
لسرقه ، ويضرب لكتبه على الله !؟ .

ان القدر لا يتخذ سبيلا الى التواكل ، ولا ذريعة الى العاصي ،
ولا طريقا الى القول بالجبر ، وإنما يجب أن يتخذ سبيلا الى تحقيق
الغايات الكبرى من جلالات الأعمال . ان القدر يدفع بالقدر ، فيدفع

(١) النساء : ١٦٥ .

(٢) المقائد الإسلامية : الشيخ السيد سابق ص ٩٧ وما بعده .

قدر الجوع بقدر الأكل ، وقدر الظماء بقدر الرى وقدر المرض بقدر العلاج والصحة ، وقدر الكسل بقدر الشاطط والعمل .

ويذكر أن أبي عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حينما فر من الطاعون : أفتر من قدر الله ، قال : نعم أفتر من قدر الله إلى قدر الله . أى يفتر من قدر المرض والوباء إلى قدر الصحة والعافية ، ثم ضرب له مثلاً بالأرض الجدباء ، والأرض الخصبة ، وأنه إذا أنتقل من الأرض الجدباء إلى الأرض الخصبة لترعى فيها أبله ، فإنه ينتقل من قدر إلى قدر .

لقد كان يمكن للرسول وصحابته أن يستكيناً كما يستكين الصناع الواهنون ، معللين أنفسهم بالفهم المغلوط الذي يتعلل به الفاشلون ، ولكنه جاء يكشف عن وجه الصواب فلم يهن ، ولم يضعف ، واستعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى ، ملتزمًا سنة الله في نصره لعباده .

فقاوم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد ، وكان يستعين بالله من ألمه والحزن ، والعجز والكسل .

وقد حذر رسول الله ﷺ من أن يفهم القدر فيما خاططاً ، ودعا إلى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ .

هذا هو القدرُ الذي ينبغي أن نعرفه عن القدر وما وراء هذه المعرفة عنه فلا يحل لنا البحث فيه ولا التنازع في شأنه ، فإن هذا من أسرار الله التي لا تحيط بها العقول ، ولا تدركها الأفكار .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتازع في القراء ، فغضب حتى أحر وجهه ، وقال : أبهد أرسلت اليكم ؟ إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزتم عليكم ألا تنازعوا فيه » .

وفي هذا يقول « على » رضي الله عنه لمن سأله في مثل هذا : طريق مظلم لا تسلكه ، كرر عليه السؤال فقال : بحر عجيب لا تتجه ، كرر عليه السؤال فقال : سر الله قد خفي عليك فلا تفشه .. ، فمثل هذا النبي إنما ينصب على السؤال عن نظام الله في الحياة والموت . وبسط الرزق وضيقه وهكذا ، لا على الكلام في القدر نفسه .

وبعد : فالقول بكون الإنسان مجررا لا مختارا قول باسقاطات^(١) كل تبعة وكل مزية ، وجراءة على التسوية بين الخبيث والطيب . وهو أمر يتناقض مع العلم اليقيني ، وبنافق البدويات الأولية ، ويعجبني قول من قال : كيف تزعم أنك جبرى مع أنك تجربى لاحصار الطيب لمريضك ، وتدافع عن وطنك ، وتستدعي رجال المطافئ لإطفاء حريق يتك ، وتحعل على وقف النار التي بدأت تشب من شرارة أصابت أوراقك في حجرة عملك ، وأن لديك عقلًا وأنك لتفتح به فيما ت يريد ، ولا سبيل إلى إنكار ذلك .

وقد رأيت بعضهم يشبه الإنسان في هذه الحياة براكب في سفينة قضى عليه أن يركبها وأن يسر فيها ، فليس مختارا في ركوبها ولا في

(١) خواص الشیخ الدجوى ص ١١١ وما بعدها — الجزء الأول — ط : الأزهر .

السير فيها ، ولا هو طليق يذهب حيث شاء ويسير حيث أراد ، ولكن له مع ذلك حرية تامة فيما يفعله في تلك الدائرة المحدودة ، فيتصرف في شلوذاته الخاصة كما يشاء : يذهب ويحب ، فيها كما ي يريد ، بشرط ألا يتعدى مقدم السفينة . ولعل هنا معنى قول سلفنا الصالح :

« لا جبر ولا تغويض ولكن أمر بين أمرتين .

ثم إننا نرى أن الأفعال كلها قد أنسنت إلى العباد في كتاب الله تعالى ، ولذلك كلفوا ، وما كان الله يكلفهم ما هو خارج عن استطاعتهم . وتناول قدر عهم (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)^(١) فقد منحك الله القدرة والإرادة فجعلك قادرًا مربدا ، ولو شاء جعلك عاجزا مقهورا ، ثم وكل اليك تصريف تلك الإرادة بمحض اختيارك إلى أحد الجانين من الخير أو الشر ، والترجح شأن من شعون الإرادة الثانية ، والتصرف أمر اختياري يرجع اليك وحدك الفصل فيه .

والخلاصة : أن الله تعالى قبل أن يخلقك يعلم أنك ستكون مربدا اختيارا لأنك إنسان لا جهاد ، هل الحيوان الأعمى له إرادة و اختيار أيضا .

ويعلم بالضرورة ما تخاتره بمحض إرادتك وما ستصرف إليه من خير أو شر ، وقد أقضت حكمته أن يهلك تلك الإرادة الحرة التي

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

تصرفاها كما تشاء كى يتحقق لك الحرية التى أقتصت حكمته أن ينبعحك اياها ، ثم بجازيك بعد ذلك على ما كان منك في يوم عصيبي نؤدى فيه الحساب عن كل ما كسبت يداك ، ولو لا ذلك لم يكن هناك معنى للحرية والاختيار ، ولا للتکلیف والثواب والعقاب .

ولسنا ننكر أنه لو شاء لسلبك تلك الإرادة ، ولو أراد جعلك آلة صماء لا إرادة لك ، ولا تکلیف عليك ، ولكنك لم يفعل لأنه يريد أن يجعلك إنسانا ، فلأى جبر يقتضيه القضاء بعد ذلك ؟

وقد سأل الإمام عليا — كرم الله وجهه — شيخ بعد انصرافه من صفين فقال : أخبرني عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال : « والذى خلق الحبة وبراً السمة ما وطننا موطنها ولا هبطنا ولا علونا تلعة^(١) إلا بقضاء الله وقدرة » فقال الشيخ : عند الله أحسب عالى ما أرى لى من الأمر شيئا ، فقال له : « مه أنها الشیخ عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي منصرفكم وأنتم منصروفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين » فقال الشيخ : فكيف ساقنا القضاء والقدر ؟ قال : وبجعلك لعلك ظنت قضاء مجيرا وقدرا قاسرا ، لو كان ذلك لبطل الشواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، والأمر والنوى ، ولم تأت لأئمة من الله المذنب ، ولا محددة لحسن ، ولم يكن الحسن أولى بالمدح من السيء ، ولا السيء أولى بالنعيم من الحسن ، تلك مقالة عبادة الأوئنان ، وجند الشياطين ، وشهود الزور ، وأهل العمى عن

(١) المكان المرتفع الذى ينحدر منه الماء .

الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها ، ان الله أمر تخيرا ونهى تخيرا ، وكلف بسرا ، لم يعص مقلوبها ، ولم يطع مستكرها ، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عثا ، ولم يخلق السموات والأرض ، وما بينهما باطلأ (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) .

وقال الإمام الرضا : ان الله هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم فإن اتّم العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا ، وإن اتّمروا بعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوا فليس هو الذي أدخلهم فيه .

ولو فحصنا هذا الباب لوجب ألا توجد هذه المخلوقات ولا تظهر تلك المبدعات ، فقد كان للجاميل بناء على هذا أن يقول : لم جعلتني جاهلا؟ وللناقص في أي شيء أن يقول : لم خلقتني ناقصا؟ بل كان للحمار مثلاً أن يقول : لم تخلقني حسانا؟ وللحصان أن يقول : لم تخلقني انسانا؟ وللإنسان أن يقول : لم تخلقني ملكا؟ وللأرض بلسان حاماً أن يقول : لم لم تخلقني سباء؟ وللسماء أن يقول : لم لم تخلقني عرشا؟ ألم ألم .

(ولو اتبع الحق أهواءهم لقصد السموات والأرض ومن فيهن) .

(١) سورة من الآية ٢١٧ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية ٧١ .

يقول سر أ . س . بودل (١) .

في عام ١٩١٨ وليت ظهري للعالم الذي عرفته طيلة حياتي ، ويحيط شطر أفريقيا الشمالية الغربية حيث عشت بين الأعراب ، في الصحراء ، وقضيت هناك سبعة أعوام ، أتقنت خلالها لغة البدو ، وكانت أرتدي زيهما ، وأكل من طعامهم ، وانخذل مظاهرهم في الحياة وغلوت مثلهم أمثلك أغنانا ، وأنام كما ينامون في الحياة ، وقد تعمقت في دراسة الإسلام ، حتى اتنى أفت كتابا عن محمد عليه السلام وعنوانه « الرسول » وقد كانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرحل من أمتع سني حياني وأحفلتها بالسلام ، والاطمئنان ، والرضا بالحياة ..

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق . فهم يوصفهم مسلمين ، يؤمنون بالقضاء والقدر ، وقد ساعدهم هذه الإيمان على العيش في أمان ، وأنخذل الحياة ما خذل سهلا هنا .. فهم لا يتسلجلون أبدا ، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن لهم قلقا على أمر ، يومئذ بـأـنـ (ما قدر يكون) وأن الفرد منهم (لن يصبه إلا ما كتب الله له) . وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوف الأيدي ، كلا !

ودعني أضرب لك مثلا لما أعنيه : هيئت ذات يوم عاصفة عاتية حللت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط ، ورمت بها وادى « الرون » في فرنسا .. وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة ،

(١) تقليل عن كتاب « كيف أرى الله ... » .

وأحسست من فرط القبيظ كأنني مدفوع إلى الجنون ولكن العرب لم يشكوا أطلاقاً ، فقد هزوا أكتافهم ، وقالوا كلمتهم المأثورة «قضاء مكتوب » .

لκنهم ما أن مرت العاصفة ، حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير ، فذهبوا صغار الخراف قبل أن يؤودي القبيظ بمحياها ، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء ، فعلوا هذا كلـه في صمت وهدوء دون أن تبتـوا من أحدهم شـكوى ، قال رئيس القبيلة الشـيخ : (لم نفقد الشـيء الكـثير ، فقد كـنا خـلـيقـين بـأن نـفـقـد كـلـ شـيء) ، ولكن حـمـداً لـهـ وـشـكـراً ، فإنـ لـديـنـا نـحـوـ أـرـبعـينـ فـيـ المـائـةـ مـنـ ماـشـيـتـاـ ، وـفـيـ اـسـتـطـاعـتـاـ أـنـ نـبـدـأـ بـهـاـ عـمـلـاـ مـنـ جـدـيدـ) .

وـثـمةـ حـادـثـةـ أـخـرىـ .ـ فـقـدـ كـانـ نـقـطـعـ الصـحـراءـ بـالـسـيـارـةـ يـوـمـاـ فـانـفـجـرـ أـحـدـ إـلـاطـارـاتـ ،ـ وـكـانـ السـائقـ قـدـ نـسـىـ اـسـتـحـضـارـ اـحـيـاطـيـ ،ـ وـتـولـاـنـىـ الـغـضـبـ ،ـ وـاـنـتـابـنـىـ الـقـلـقـ وـالـمـمـ ،ـ وـسـأـلـتـ صـحـبـىـ مـنـ الـأـعـرـابـ (ـ مـاـذـاـ عـسـىـ أـنـ نـفـعـ ؟ـ)ـ فـذـكـرـوـنـىـ بـأـنـ الـانـدـفـاعـ إـلـىـ الـغـضـبـ لـنـ يـجـدـ فـيـلـاـ ،ـ بـلـ هـوـ خـلـيقـ أـنـ يـدـفـعـ إـلـىـ الـطـيـشـ وـالـحـمـقـ ،ـ وـمـنـ ثـمـ درـجـتـ بـنـاـ السـيـارـةـ وـهـىـ تـجـرـىـ عـلـىـ تـلـاثـ اـطـارـاتـ لـيـسـ إـلـاـ ،ـ لـكـنـهـاـ مـاـ لـبـثـتـ أـنـ كـفـتـ عـنـ السـيرـ ،ـ وـعـلـمـتـ أـنـ الـبـنـزـينـ قـدـ نـفـذـ .ـ وـهـنـاكـ أـيـضـاـ لـمـ تـرـ ثـائـرـةـ أـحـدـ مـنـ رـفـاقـ الـأـعـرـابـ ،ـ وـلـاـ فـارـقـهـمـ هـدـؤـهـمـ ،ـ بـلـ مـضـواـ يـلـرـعـونـ الطـرـيقـ سـيـراـ عـلـىـ الـأـقـدـامـ ،ـ وـهـمـ يـرـغـمـونـ بـالـغـنـاءـ ..

لـقـدـ اـفـعـتـىـ الـأـعـوـامـ السـبـعةـ ،ـ التـىـ قـضـيـتـاـ فـيـ الصـحـراءـ بـيـنـ الـأـعـرـابـ الرـحلـ ،ـ أـنـ الـمـلـاتـلـىـنـ ،ـ وـمـرـضـىـ النـفـوسـ ،ـ وـالـسـكـرـىـنـ ،ـ الـذـيـنـ تـحـفـلـ بـهـمـ أـمـرـيـكاـ وـأـورـباـ .ـ مـاـ هـمـ إـلـاـ ضـحـاحـاـيـاـ الـمـدـيـنـةـ التـىـ تـنـخـذـ

السرعة أساساً لها ..

أنت لم أعن شيئاً من الفلق قط ، وأنا أعيش في الصحراء بل
هناك في جنة الله ، وجدت السكينة ، والقناعة ، والرضا ،
وكتيرون من الناس يزورون بالجربة التي يؤمن بها الأعراب ويسيرون
من أمثالهم للقضاء والقدر ..

ولكن من يدري ؟ فلعل الأعراب أصابوا كبد الحقيقة فأنى إذ
أعود بذاكرى إلى الوراء .. وأستعرض حيالى أرى جلياً أنها كانت
تشكل في فرات مباعدة تبعاً لحوادث نظراً عليها ، ولم تكن قط في
الحسان ، أو مما أستطيع له دفعاً ، والعرب يطلقون على هذا اللون
من الحوادث اسم (فقر) أو « قسمة » أو (قضاء الله) ، وسمى
أنت ما شئت .

وخلاصة القول أنت بعد سبعة عشر عاماً على مقادير
الصحراء ، مازلت أخند موقف العرب حيال قضاء الله ، فأقابيل
الحوادث التي لا حيلة لـ فيها بالمندو والامتثال والسكينة ، ولقد
أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في هذة أعصى أكثر
ما تفلح آلاف السكتات ، والعاقير ...

إنه الإيمان ينبع السعادة .. ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، ومن يؤمن
بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

صدق الله العظيم

الإِجَابَةُ الْخَطْرَةُ ...

تقول الأخت المسلمة (أ - ح)

هل المسلم سوء الخلق .. أفضل .. أم أسوأ من الشخص .. غير
المسلم - الحسن الخلق ؟

أنتي (أى هي) تميل إلى - أن غير المسلم - الحسن الخلق أفضل
من المسلم سوء الخلق ..

وأقول للأخت المسلمة :

لقد دخلنا في « العميق » وهو مثل شعى في مصر يعني
السباحة في البحر إلى المنطقة الخطيرة . حيث يواجه الإنسان الموت
غرقا ، أو يواجه الجنيان وأسماك القرش ، التي تفترسه افتراسا ، أو
تنذهب به إلى هاوية سحيقة لا يخرج منها أبدا ..

ولست أدرى ؟ لماذا خطر ببالى هذا « المثل الشعبي » حين بدأت
الإجابة على هذا السؤال ؟

ولكنى أعتقد أن هذه المصادفة الفدرية لا تبعد كثيرا عن الإجابة
المطلوبة عن السؤال . ذلك .. لأن سوء خلق .. والموت .
سيان ... !

وكما يقول شاعر مصر الكبير أحمد شوقى
ألا أنها الأمم الأخلاق ما بقيت .. فإن هو ذهبوا أخلاقهم ذهبوا .

لو طبقنا أو اسْرَشَدْنَا بهذا المعنى الذي أورده الشاعر في هنا
البيت . فـ تـبعـ أـسـابـ قـيـامـ الحـضـارـاتـ أوـ انهـيارـهاـ لـوـجـدـنـاـ ذـلـكـ
صـحـيـحاـ مـائـةـ فـيـ المـائـةـ . يـنـطـبـقـ هـذـاـ عـلـىـ الحـضـارـاتـ الـقـدـيـمةـ كـلـهـاـ .. فـ
اـهـنـدـ .. وـفـيـ الصـينـ وـفـيـ فـارـسـ ، وـفـيـ رـوـمـاـ وـفـيـ بـغـدـادـ وـدـمـشـقـ
وـالـأـنـدـلـسـ وـالـقـاهـرـةـ ، وـفـيـ الـحـضـارـةـ الـأـوـرـوـيـةـ الـيـوـمـ .

وـنـذـاـ أـسـتـشـهـدـ بـقـولـ شـاعـرـ يـبـنـاـ يـقـرـرـ الـقـرـآنـ ذـلـكـ بـصـراـحةـ :
«إـذـاـ أـرـدـنـاـ أـنـ بـهـلـكـ قـرـيـةـ أـمـرـنـاـ مـتـرـفـيـاـ فـقـسـقـوـ فـيـهـاـ . فـحـقـ عـلـيـهـاـ
الـقـوـلـ . فـدـمـرـنـاـهـاـ تـدـمـيرـ»^(١) .

وـقـدـ قـرـئـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ بـلـفـظـ (ـأـمـرـنـاـ)ـ بـدـلـاـ مـنـ (ـأـمـرـنـاـ)،ـ وـيعـنـيـ
ذـلـكـ أـنـ حـيـنـ يـتـوـلـ أـمـوـرـ النـاسـ الـفـسـقـةـ وـالـطـغـةـ وـالـفـجـرـ يـتـهـيـ شـأنـ
هـؤـلـاءـ النـاسـ وـتـذـهـبـ رـيـجـهـمـ مـنـ هـذـهـ الدـنـيـاـ ..

أـلـمـ أـقـلـ لـكـ أـيـهـاـ الـأـخـتـ أـنـاـ قـدـ توـغـلـنـاـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ «ـالـخـطـرـةـ»ـ مـنـ
الـبـحـرـ؟

وـلـكـنـ مـاـ الـحـيـلـةـ إـذـاـ كـانـ هـذـاـ هـوـ الـوـاقـعـ وـالـحـقـيقـةـ؟

وـقـبـلـ أـنـ تـجـرـفـنـاـ التـيـارـاتـ وـالـعـواـصـفـ بـعـيـداـ عـنـ «ـالـاجـابةـ»ـ ..ـ أـوـ
عـنـ (ـالـهـدـفـ وـالـغـاـيـةـ)ـ مـنـ هـذـهـ الـاجـابةـ ..ـ نـعـالـىـ مـعـيـ أـوـلـاـ .ـ نـقـرـأـ مـاـ
يـقـولـهـ اللـهـ لـنـبـيـ ،ـ وـمـاـ يـقـولـهـ النـبـيـ لـأـمـتـهـ عـنـ الـأـخـلـاقـ وـأـهـمـيـتـهـاـ فـيـ قـيـامـ
الـحـضـارـةـ وـتـرـيـةـ الـأـمـ وـالـشـعـوبـ عـلـىـ الـخـيـرـ وـالـحـقـ وـالـفـضـيـلـةـ :

(١) سورة الاسراء : ١٦ .

لقد كان من أبلغ ما وصف الله به نبيه قوله له : « واتك لعلى خلق عظيم »^(١) ... هذا الخلق العظيم الذي عرف به النبي — قبل مبعثه — هو الذي جعل مشركي مكة مرغبين على الاعتراف بصدقه وأمانته ، وجعل من أى سفيان رغم ما كان ينـهـ وـيـنـ النـبـيـ من عداوة .. يعترـفـ بـطـهـرـهـ وـنـقـاهـ ، وـجـعـلـ مـنـ « هـرـقلـ » شـاهـدـ حـقـ على صدق نبوته ورسالته .

وهـذـ هـىـ مـؤـهـلـاتـ النـجـاجـ فـىـ آيـةـ دـعـوـةـ أـوـ رـسـالـةـ . فـالـطـابـقـ بـيـنـ القـولـ وـالـعـمـلـ ، وـالـارـتـبـاطـ بـيـنـ السـلـوكـ وـالـفـكـرـ ، وـالـامـتـالـ وـالـتـوـافـقـ بـيـنـ الـظـاهـرـ وـالـبـاطـنـ هوـ الـذـىـ فـتـحـ لـلـسـلـمـيـنـ أـفـاقـ الـعـالـمـ .. فـتـحـ هـمـ الـقـلـوبـ قـبـلـ أـنـ تـفـتـحـ المـدـنـ ، وـفـتـحـ هـمـ الـطـرـقـ وـالـمـعـاـقـلـ قـبـلـ أـنـ يـتـحـرـكـ الـجـيشـ .

وـهـلـ يـخـطـرـ بـيـالـكـ أـنـ شـعـبـ مـسـيـحـيـاـ هوـ شـعـبـ (ـخـصـ)ـ فـيـ سـوـرـيـاـ ، يـطـلـبـ مـنـ جـيـشـ أـجـنـبـيـ (ـهـوـ الـجـيـشـ الـاسـلـامـيـ بـقـيـادـةـ أـنـيـ عـبـيـدةـ بـنـ الـجـرـاحـ) .. يـطـلـبـ مـنـ الـجـيـشـ الـإـسـلـامـيـ أـلـاـ يـخـرـجـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ خـوـفاـ مـنـ قـدـومـ جـيـشـ مـسـيـحـيـ (ـهـوـ جـيـشـ الـرـوـمـانـ؟ـ) .. وـلـكـنـ هـذـاـ مـاـ حـدـثـ .. أـمـاـ لـمـاـذـاـ؟ـ فـكـماـ يـقـولـ الـمـؤـرـخـ الـمـسـيـحـيـ — تـوـمـاـسـ أـرـنـوـلـدـ — عـلـىـ لـسـانـ أـهـلـ خـصـ :

« ... أـنـتـمـ أـيـهـاـ الـسـلـمـونـ أـحـبـ الـيـنـاـ مـنـ الرـوـمـ — وـانـ كـانـواـ عـلـىـ دـيـنـاـ — أـنـتـمـ أـوـفـ لـنـاـ ، وـأـرـأـفـ بـنـاـ ، وـأـكـفـ عـنـ ظـلـلـنـاـ ، وـأـحـسـنـ وـلـاـيـةـ عـلـيـنـاـ ، وـلـكـنـهـمـ غـلـبـوـنـاـ عـلـىـ أـمـرـنـاـ وـعـلـىـ مـنـازـلـنـاـ ». ثمـ يـقـولـ : سـيرـ تـوـمـاـسـ أـرـنـوـلـدـ بـعـدـ ذـلـكـ : اـنـ أـهـلـ خـصـ غـلـقـوـاـ أـبـوابـ مـدـيـنـتـهـمـ حـتـىـ لـاـ يـدـخـلـهـاـ جـيـشـ هـرـقلـ^(٢) .

(١) سورة القلم .

(٢) الدعوة إلى الإسلام — سير توماس أرنولد — من ٧٣ — ط القاهرة — ١٩٧٠ .

وقد حدد رسول الله **الغاية الأولى** من بعثته ، والنهج المبين في دعوته فقال : « إنما لأتم مكارم الأخلاق »^(١) .

فكأن الرسالة التي خططت مجريها في تاريخ الحياة ، وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها وجمع الناس حولها ، لا تشد أكثر من تدعيم فضائلهم ، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم . حتى يسعوا إليها على هدى وبصيرة ..

والعبادات التي شرعت في الإسلام وأعتبرت أركانا في الإيمان به ليست طقوسا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيب والجهولة ، ويكلفة بأداء أعمال غامضة وحركات لا معنى لها بل هي عبارين متكررة لتعويذ المرء أن يحيى بأخلاق صحيحة ، وأن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق ، مهما تغيرت أمامه الظروف ..

والقرآن الكريم والسنّة المطهرة ، يكشفان — بوضوح — عن هذه الحقائق .

• فالصلة الواجبة عندما أمر الله بها أهان الحكمة من أقامتها ، فقال :

« وأقم الصلاة ، إن الصلاة تهى عن الفحشاء والمنكر »^(٢) .

فإليبعد عن الرذائل ، والتطهير من سوء القول وسوء العمل ، هو حقيقة الصلاة ، وقد جاء في حديث يرويه النبي عن ربه :

« إنما أقبل الصلاة من تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتي ، وقطع النهار في ذكري ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب »^(٣) .

(١) مالك .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) البراز . — حلقة المسلم — محمد الغزالى — ص ٥ وما بعدها .

• والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب ، بل هي — أولاً — غرس لشاعر الحنان والرأفة ، وتوطيد التعارف والألفة بين شتى الطبقات .

هـ خذ من أموالهم صدقة تطهيرهم وتزكيمهم بها^(١) .

هـ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى^(٢) .

• وكذلك شرع الإسلام الصوم لنفس الغرض والغاية يقول الرسول ﷺ : هـ من لم يدع قول الزور والعمل به فليس الله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه^(٣) ..

وقال : هـ ليس الصيام من الأكل والشرب . إنما الصيام من اللغو والرفث .. فإن سألك أحد . أو جهل عليك . فقل : اني صائم^(٤) .

والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله :

هـ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقوون^(٥) .

• وكذلك يمكن أن تقول عن فريضة الحج :

هـ الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلم الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الآلاب^(٦) .

(١) التوبة : ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة .

(٣) البخاري .

(٤) ابن حجر .

(٥) البقرة : ١٨٣ .

(٦) البقرة : ١٩٧ .

هذا عرض بجمل بعض العبادات التي أشتهر بها الإسلام ، عرفت على أنها أركانه الأصلية . نستعين منه مثابة الأوصاف التي تربط الدين بالخلق .

إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظاهرها ، ولكنها ، تتلقى عند الغاية التي رسماها الرسول ﷺ في قوله « إِنَّمَا بَعْثَتُ لَأَنْتُمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

وقد وضح صاحب الرسالة أن الإيمان القوى يلد الخلق القوى حتى . وأن انحراف الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان ، أو فقدانه ، بمحب تفاصيل الشر أو تفاهته .

فالرجل الصفيق الوجه ، الموجع السلوك ، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد . يقول رسول الإسلام في وصف حاله : « الحياه والإيمان قرناء جمبيعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر »^(١) .

والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء ، يحكم الدين عليه حكما قاسيا ، فيقول فيه الرسول ﷺ : « وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ . قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يؤمن جاره بوائقته »^(٢) ..

ونجد الرسول ﷺ عندما يعلم أتباعه الأعراض عن اللغو ، وبمحابية الثرثرة والهفر — يقول : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتَ »^(٣) .

وهكذا يمضي في غرس الفضائل حتى تؤوي ثمارها . معتمدا على صدق الإيمان وكماله^(٤) ..

(١) الحكم والطيراني .

(٢) البخاري .

(٣) البخاري .

٦٤ على أن بعض المتسفين إلى الدين . قد يستهلون أداء العبادات المطلوبة ، وبظهرون في المجتمع العام بالحرض على اقامتها وهم — في الوقت نفسه — يرتكبون أعمالاً يأبها الخلق الكريم والإيمان الحق .
إن نبي الإسلام توعّد هؤلاء المخالفين : وحشر أمتهم منهم .

وفي هنا ورد عن النبي ﷺ ، أن رجلاً قال له : يا رسول الله .. أن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ؟ فقال : « هي في النار » ثم قال : يا رسول الله .. فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها تصدق » بالآثار من الأقطاء » بالقطع من الجبن — ولا تؤذى جيرانها . قال « هي في الجنة » ^(١) .

في هذه الاجابة تقدير لقيمة الخلق العالى . وفيها — كذلك — تنبية بأن الصدقة عبادة اجتماعية . يتبعى نفعها إلى الغير ، ولذلك لم يفترض التقلل منها كما افترض التقلل من الصلاة والصيام ، وهى عبادات شخصية في ظاهرها .

إن رسول الإسلام لم يكتف باجابة على سؤال عارض ، في الإبانة عن ارتباط الخلق بالإيمان الحق . وارتباطه بالعبادة الصحيحة ، وجعله أساس الصلاح في الدنيا والنجاة في الأخرى .

أن أمر الخلق أهم من ذلك ، ولا بد من إرشاد متصل ، ونصائح متابعة ليرسخ في الأفقة والأفكار أن الإيمان والصلاح والأخلاق ، عناصر متلازمة متاسكة ، لا يستطيع أحد تمزيق عراها .

(١) أحمد .

لقد سأله أصحابه يوماً «أتبرون من المفلس؟» قالوا : المفلس فيما
من لا درهم له ولا متاع ، فقال : المفلس من أمنى من يأتي يوم
القيمة بصلة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا وقدف هذا ،
وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من
حسنه ، وهذا من حسنته ، فإن فتت حسنته قبل أن يقضى ما
عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار^(١) .

ذلك هو المفلس : أنه كتاجر يملك في عمله بضائع بألف ، وعليه
ديون قدرها ألفان ، كيف بعد هذا المسكين غنياً ؟

والتدليل الذي يباشر العبادات ، ويبيّن بعدها بادى الشر ، كالمحظى
الوجه ، قريب العلوان ، كيف يحسب أمرءاً تقيناً ؟

فإذا ثمت الرذائل في النفس ، وفشا ضررها ، وتفاقم خطورها ،
انسلخ المرء من دينه كما ينسليخ الغريان من ثيابه : وأصبح ادعاؤه
لإيمان زوراً وكذباً .

وتقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم ،
يقول النبي الكريم : «ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صام
وصلى وحج واعتصر ، وقال أقى مسلم : اذا حدث كذب ، وإذا
وعد أخلاق ، وإذا أؤمن خان^(٢) » .

(١) مسلم .

(٢) مسلم .

وقال في رواية أخرى : « أية المنافق ثلاث ، اذا حدد كذب ،
و اذا وعد أخلف ، و اذا عاهد غدر ، و ان صل و صام وزعم أنه
مسلم » ..

وقال كذلك : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه
خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان
و إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصل فجر(١) .

ومن المعروف بدأه .. أن الإسلام يتكون من شعبتين رئيسيتين :
أولاًهما وأهمهما :

العقيدة وهي الإيمان القلبى الصادق الذى لا يعترى شك ولا
ريبة ،

وثانيةما :

الشريعة ، وهى الجانب العملى والتطبيقى لشرعى — الإسلام
وأدابه وأحكامه فى هذه الدنيا .

أن العقيدة شعور داخلى فى القلب لا يعلمه إلا الله وحده .. ومن
ثم .. فلسوف يتحدد موقف الإنسان يوم القيمة أمام الله حسب هذا
الاعتقاد وهذا الإيمان .

أما الشريعة أو الأحكام والأداب والفرائض والواجبات فهى
أعمال ظاهرية يعرفها الناس ، ويحكمون على صاحبها بالإسلام ،

(١) البخارى . انتهى من كتاب خلق المسلم .

ويعامل معاونة المسلمين طبقاً لالتزامه بهذه الشعائر والواجبات .

ان الحكم على ما في القلب متزوك أمره الى الله .. ولقد كان من أكبر الأحزاب التي تصدت للدعوة ، وحاربتها بشراسة وقسوة « حزب المنافقين » ورئيسه عبد الله أبن أبي سلول .. وبالرغم من معرفة الرسول بحقيقة هؤلاء المنافقين واطلاعه على ما يدبرون وبخططهم .. إلا أنه عاملهم بالظاهر من أقوالهم وأفعالهم . فما داموا يصلون « ظاهراً » .. ويصومون ظاهراً وينطقون بالشهادتين علينا . فقد أجرى النبي عليهم أحکام الإسلام ولم يستخد منهم موقفاً عدائياً .. بل ترك الحكم عليهم الله الذي فضحهم وكشفهم في أماكن كثيرة من القرآن الكريم .

وما دامت الأعمال الظاهرة هي التي يحكم بها على صاحبها في هذه الدنيا فاته .. وطبقاً لهذه القاعدة .. التي فسرتها الأحاديث النبوية السابقة وفي ضوء هذه الحقائق والقيم الحالية يمكن أن نقول بصراحة :

أن غير المسلم الحسن الخلق .. أفضل من المسلم السيء الخلق في هذه الدنيا أما في الآخرة فالحساب هناك إنما يتم تطبقاً للإيمان بالله الواحد الأحد والإيمان برسالة النبي الخاتم محمد ﷺ .

وكذا أن المسلم الحق مطالب بالعدل مع نفسه .. فكتلك هو مطالب بالعدل بالنسبة لغيره .. سواء أكان هذا الغير من المسلمين أو غير المسلمين .

والعدل الإلهي .. لا يحافي أحداً على حساب أحد ، والقوانين

الإسلامية لا تقف أحکامها عند حد معين . بل إن الله سبحانه يطالنا بهذا العدل حتى مع أعدائنا وخصومنا ١) ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتفويٰ ٢) ، بل أن القرآن نزل لنبرئه رجل غير مسلم اتهم ظلماً من رجل مسلم ، وفي سورة النساء التفاصيل الكاملة لهذه القصة ٣) .

وليس من العدل في هذه الدنيا أن يستوي الخبيث والطيب ، والعادل والظالم ، والمُقتيل والمُقاتل ، والبار والفاجر ، وليس من العدل أن تقول للمسيء : أحسنت . أو تقول للمحسن لقد صبأت وكفرت ..

فالأحكام في هذه الدنيا تجري طبقاً لهذه الأعمال الظاهرة فمن أحسن قيل له أحسنت ، ومن أساء قيل له أساءت .

وسواء بعد ذلك أن يكون هذا المحسن أو المسيء مسلماً أو غير مسلم .

بعد انتصار المسلمين في أحدى الغزوات جاء إلى النبي بالأسرى ، وكانت من بينهم سفانة بنت حاتم الطائي الذي به يضرب المثل في الجود والكرم ..

فلما عرف النبي ذلك أمر باحضارها .. فلما مثلت بين يديه أطلق سراحها وأكرّمها .

١) رواه مسلم .

٢) رواه الحارثي .

ثم قال لها : لو كان أبوك مسلما لترحنا عليه .
 فلما تعجب أصحابه من هذه المعاملة لامرأة محاربة تقف في
 صفوف أعدائه قال لهم :
 أن اباهما كان يجب مكارم الأخلاق ..

في هذه القصة نجد للنبي ﷺ موقفين .. أو حكمين : أما
 الحكم الأول أو الموقف الأول فيحصل بالسلوك الشخصي لوالد هذه
 الفتاة في هذه الدنيا .. حيث كان أبوها جوادا وكميرا .

فقد أثني النبي على هذا الرجل - غير المسلم - وأطلق سراح
 ابنته من الأسر اكرااما خلقه وسيرة الحسنة التي كان عليها في حياته .
 أما الحكم الثاني أو الموقف الثاني فيحصل بالأخرة وبالإيمان
 والعقيدة ، وبالتالي والعقاب يوم القيمة حيث قال النبي : لو كان
 أبوك مسلما لترحنا عليه .

ان فساد الأخلاق من أعظم ما ابتلي به المسلمين في هذا العصر .
 وهى كارثة كبيرة مالم يتدارك الحكماء ، والعلماء ويقوموا بحق الله في
 التوجيه والنصح . لند كان من أهم الوظائف في الحكومة الإسلامية
 وظيفة « الخحسب » وهي وظيفة تمنع صاحبها حق التدخل بالإرشاد
 والنصح ، وتطبيق أحكام الدين والشرع ، والضرب على أيدي
 الفساد والشر ، وهى وظيفة كانت يؤديها رجال وهبوا أنفسهم للنحو
 والدفاع عن الحق والفضيلة والعدل .

ماذا يقى بعد ذلك لأقوله أيتها الأخت ... ؟
أقول ما قاله النبي ﷺ ، أن الدين المعاملة ،

وقد أسلم عالم فرنسي عن طريق القراءة ، وأعجبه الإسلام فآمن به واعتنقه ، ثم رأى بعد ذلك أن يزور الشرق ليسعد ببرؤية الإسلام في بلاده التي كان لها شرف الجهاد والسبق .

لقد هاله ما سمع وما رأى .. ؟

أحقا هؤلاء هم المسلمين الذي فتح الله لأجدادهم ثلاثة أرباع هذه الدنيا ؟ لقد عاد الرجل مسرعا إلى فرنسا ، وحين مثل عن سبب عودته قال حزينا ومتأسفا ..

الحمد لله .. الذي جعلنى مسلما قبل أن أرى هؤلاء المسلمين ..
اسما .. وقولا .. لا عملا ... !!

لقد مثل أئم عظيم من أئمة الإسلام هو تفى الدين بن تيميه :
أى الدولتين أحق بالبقاء والاستمرار وعلو الشأن والكلمة ..

— العادلة الكافرة .. ؟

— أم المسلمات الظالمة .. ؟

فأجاب الإمام العظيم على الفور .

العادلة الكافرة ...

ألم أقل — أيتها الأخت — أن هذه هي الإجابة الخطرة ... ؟

الخِرَاشِيُونَ .. التَّعَسَاءُ

• لقد ابتكرنا هذا الاسم ، الخراشيون ، ليكون شاملًا لمدى احتیاطنا بالآخر

وتقول الأخت (أ - ح) :

• أنا لم أقرب الخمر .. حتى قبل دخولي في الإسلام ، وكان اعتقادى دائماً بأن المشروبات الروحية هي الدعم الأدلى للتعاء .. كما أنتي لا تتدخل عندما يتعاطى المسلمين الخمر .. لأننى أعتقد أن هذه مشكلة بينهم وبين الله .

ولكن عندما يدعون بأن القرآن لا ينص على تحريم الخمر ، ويقولون بأن القرآن ينص فقط على ألا يقرب المسلم الصلاة وهو خمور . فأنتي أعتقد بأن تفسيرهم هذا خاطئ وفاسد . والا تعرض المسلمين للضلالة . كما أنتي أدرك بأن الآيات التي نزلت أخيراً في تحريم الخمر تلقي ما جاء في آيات متقدمة حول الخمر .. وبالتالي فإن الآية التي تصف الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان هي التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار .

كما أعتقد بأن الحديث الشريف الذى ينهى عن الخمر واضح تماماً ومتمشياً مع ما جاء به القرآن .

انه لا يوجد عندي أدلى شرك في تحريم الخمر ، ولكن أود أن أكون متأكدة تماماً من أدلى عندما أدعو هؤلاء الذين يقعون في اغراء الخمر .

• أما بالنسبة للمخدرات فإن عدد الذين يتعاطونها يتزايدون يوماً بعد يوم .. ومع ذلك فإن الكثير من الناس يعتقد بأن تعاطي

الخدر من وقت لآخر — غير ضار ، وبالتالي فإنهم يعرضون على ذويهم وأصدقائهم المشاركة في تعاطي الخدر .

ما السورة أو الحديث الذي يحرم تعاطي المخدرات ؟

وأقول للأخت العزيزة المسلمة :

إن هنا المنطق الذي يلجأ إليه السكارى والمدمنون في تبرير خطئتهم أصبح مبتذلاً ومجوحاً ومرفوضاً . فهو لاء النساء — كما تسميهم — يعرفون أنهم على خطأ وأن مكابرتهم وأصرارهم على هذه الجريمة لا يعني سوى الهروب من الحقيقة التي لا يختلف حوالها من الناس أحد ..

فالحرام بين .. والحلال بين .. والقطة العجماء تعرف هذا الفرق بين الحلال والحرام وتتصرف مع الناس بمقتضى هذا الفهم ...

أنها أى القطة تسمح بجسم الإنسان عندما يعطيها قطعة من اللحم ، وتقف بجواره لتأكل ما قدم إليها في طمأنينة ونهم ، ولكن هذه القطة عندما تحطف شيئاً فإنها تهرب به بعيداً حتى لا يضر بها أحد ..

أفيكون السكارى والمدمنون أقل فطنة من هذه القطة ؟ وهل مسخت الحقائق إلى هذا المستوى الذي يحيط بالسكير أو المدمن إلى هذا الترک من الهوان والغفلة ؟

لقد تعاملت مع طائفه من هؤلاء في إحدى البلاد العربية ، وكم

آلمى أن أعرف رجلاً كان يشرب من الخمر ما يعادل عشرة آلاف دولار كل شهر .. لقد انتقل إلى ربه على أية حال ، ولكن منطقة بقى إلى يومنا هذا على لسان هؤلاء التعمّس الذين لا يزبون صراغي هنا الداء الوريل الذي اسمه « الحشيش » أو الخمر ...

ويحق ما قاله أحد الباحثين^(١) :

ان الإنسان لم يصب بضررة أشد من ضربة الخمر ، ولو عمل احصاء عام عنن في مستشفيات العالم من المصابين بالجنون والأمراض العضاللة بسبب الخمر ، وعنن يشكرون في العالم من آلام عصبية ومعدية ومعوية بسبب الخمر ، وعنن أورد نفسه موارد الأفلام بسبب الخمر ، وعنن تجرد من أملاكه يبعاً أو غشاً بسبب الخمر .. لو عمل احصاء بذلك أو ببعضه لبلغ حداً هائلاً نجد كل نصح بازائه صغيراً .

وقد كان العرب في جاهليتهم مولعين بشربها والمنادمة عليها ، ظهر ذلك في لغتهم فجعلوا لها نحواً من مائة اسم ، وفي شعرهم فوصفوها وأقداحها ومجالسها وأنواعها .

فلمما جاء الإسلام أخذهم بمنهج قربوي حكيم ، فتدرج معهم في تحريرها ، فمنعهم أولاً من الصلاة وهم سكارى ، ثم بين لهم أن أنها أكبر من نفعها ، ثم أنزل سبحانه الآية الجامدة القاطعة في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما ي يريد الشيطان أن يوقع

(١) نقل عن الحلال والحرام - يوسف القرضاوى ص ٦٩ وما بعدها .

يُنکم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويُنکم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متہون ؟ .

سورة المائدة الآيتين : ٩٠ ، ٩١ .

وفي هاتين الآيتين أكد الله تحريم الخمر والميسر — القمار — تأكيداً بليناً إذ قرنهما بالأنصاب والأذلال ، وجعلهما رجساً — وهى كلمة لا تطلق في القرآن إلا على ما اتّشد فحشته وقبحه . وجعلهما من عمل الشيطان ، وإنما عمله الفحشاء والمنكر . وطلب اجتنابهما وجعل هذا الاجتناب سبلاً إلى الفلاح . وذكر من أضرارهما الاجتماعية ، تقطيع الصلات وإيقاع العداوة والبغضاء ومن أضرارهما الروحية الصد عن الواجبات الدينية من ذكر الله والصلاحة . ثم طلب الانتهاء عنهما بأبلغ عبارة (فهل أنتم متہون) .

وكان جواب المؤمنين على هذا البيان الحاسم قد انتهينا برب ، قد انتهينا برب .

وصنع المؤمنون العجب بعد نزول هذه الآية ، فكان الرجل في يده الكأس قد شرب منها بعضاً وبقى بعض فحين تبلغه الآية يتزع الكأس من فيه ويفرغها على التراب .

وقد آمن كثيرون من الحكومات بأضرار الخمر على الأفراد والأسر والأوطان ، ومنهم من حاولوا أن يمنعوها بقوة القانون والسلطان — كأمريكا — ففشلوا ، على حين لمجح الإسلام وحده في محاربتها والقضاء عليها .

وقد اختلف رجال الكنيسة في موقف المسيحية من الخمر ، واستندوا إلى أن في الانتحيل نصا يقول : قليل من الخمر يصلح المعدة . ولو صح هذا الكلام وكان قليل الخمر يصلح المعدة حقاً لوجب الامتناع عن هذا القليل ، لأن قليل الخمر إنما يغير إلى كثيرها والكأس الأولى تغري بأخرى وأخرى حتى الأدمان .

هذا على حين كان موقف الاسلام ضربياً صارماً من الخمر وكل ما يعين على شربها .

وكان أول ما أعلنه النبي في ذلك أنه لم ينظر إلى المادة التي تتخذ منها الخمر ، وإنما نظر إلى حال الآخر الذي تحدثه وهو الأسكار ، فما كان فيه قوة الأسكار فهو كالخمر مهمماً وضع الناس لها من ألقاب وأسماء ، ومهما تكون المادة التي صنعت منها — وعلى هذا فالبيرة وما شابها حرام .

وقد سئل النبي ﷺ عن أشربة تصنع من العسل أو من الفرة والشعير تنبذ حتى تشد ، وكان النبي ﷺ قد أوى جوامع الكلم فأجاب بجواب جامع : « كل مسكر حمر ، وكل حمر حرام »^(١) .

(١) رواه مسلم ، ت : ٥٧ .

وأعلن عمر على الناس من فوق منبر الرسول عليه السلام : الخمر
ما خامر العقل^(١) .

ثم كان الإسلام حاسماً مرة أخرى حين لم ينظر إلى القبر المشروب
من الخمر قل أو كثُر ، فيكفي أن تنزلق قدم الإنسان في هذه
السبيل ، فيمضي وينحدر ، لا يلوى على شيء .

هذا قال رسول الله ﷺ : « ما أسكر كثيرون فقليله
حرام »^(٢) .

ولم يكتف النبي عليه السلام بتحريم شرب الخمر قليلاً وكثيراً ،
بل حرم الاتجار بها ، ولو مع غير المسلمين ، فلا يجعل لمسلم أن يعمل
مستورداً أو مصدراً للخمر ، أو صاحب محل لبيع الخمر ، أو عاملًا
في هذا العمل .

ومن أجل ذلك لعن ﷺ في الخمر عشرة ، عاصرها
ومعتصرها — أي من عصرها — وشاربها ، وحاميها ، والمحمولة
إليه ، وسائلها ، وبائعها ، وأكل ثناها ، والمشتري لها ، والمشتراء
لها^(٣) .

ولما نزلت آية المائدة السابقة قال النبي ﷺ : إن الله حرم
الخمر فمن أدركه هذه الآية ، وعنه منها شيء ، فلا يشرب ولا
يباع ، قال راوي الحديث : فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق
المدينة فسفكوها^(٤) .

(١) مطلق عليه . (٢) الترمذى وابن ماجه ورواته ثقات ، ت : ٦٠ .

(٣) رواه أحمد وأبو داود . (٤) رواه مسلم ، ت : ٦١ .

وعلى طريقة الإسلام في سد النراثع إلى الحرام ، حرم على المسلم أن يبيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمرا ، وفي الحديث : « من حبس العنب أيام القطف ، حتى يبيعه من يهودي — أى : ليهودي — أو نصراوى أو من يتعدده خمرا — أى : ولو كان مسلما — فقد تقدم النار على بصيرة^(١) »

وإذا كان يبيع الخمر وأكل ثمنها حراما على المسلم ، فإن أهداءها بغير عوض ، ولغير مسلم من يهودي أو نصراوى أو غيره حرام أيضا ، فما ينبغي لل المسلم أن تكون الخمر هدية منه ، ولا هدية إليه ، فهو طيب لا يهدى إلا طيبا ولا يقبل إلا طيبا .

وقد روى أن رجلا أراد أن يهدى للنبي عليه الصلاة والسلام راوية خمر ، فأخبره النبي أن الله حرمتها ، فقال الرجل : — أفلأ أيعها ؟

فقال النبي : « إن الذي حرم شربها حرم بيعها ». .

قال الرجل : أفلأ أكرم بها اليهود ؟

فقال النبي : « إن الذي حرمتها حرم أن يكرم بها اليهود ». .

فقال الرجل : فكيف أصنع بها ؟

فقال النبي « طليقها » ، شيئا على البطحاء^(٢) .

وعلى هذه السنة أمر المسلم أن يقاطع مجالس الخمر ، ومجالسة شاربيها . فعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله « عليه السلام » يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقدر على مائدة تدار عليها الخمر^(٣) ». .

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » وحسنه المحقق في بلوغ المرام ، ت : ٦٢ .

(٢) رواه الحسبي في « سنن أبي داود » ، ت : ٦٤ .

(٣) رواه أحمد ، ومعنىه عند الترمذى ، ت : ٦٥ .

ان المسلم مأمور أن يغمر المنكر إذا رآه ، فإذا لم يستطع أن يزيله ، فليزيل هو عنه ، وليناً عن موطنها وأهله .

وما روى عن الخليفة الراشد عمر بن العزيز أنه كان يجلد شارفي الخمر ومن شهد مجلسهم ، وإن لم يشرب معهم . وروروا أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر ، فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلانا ، وقد كان صائما ؟ فقال : به أندروا . أما سمعتم قول الله تعالى : (وَنَذَرَ إِلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهِنُ بِهَا فَلَا تَقْعِدُوْنَاهُمْ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ أَنْكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ) سورة النساء : ١٤٠ .

بكل هذه النصوص الواضحة كان الإسلام حاسما كل الحسم في محاربة الخمر وأبعاد المسلم عنها ، وإقامة الحواجز بينه وبينها ، فلم يفتح أي منفذ – وأن ضاق وصغير – لتناولها أو ملابستها .

لم يبح للMuslim شربها ولو القليل منها ، ولا ملابستها بيعي أو شراء أو أهداه أو صناعة ، ولا ادخالها في متجره أو في بيته ، ولا احضارها في حفلات الأفراح وغير الأفراح ، ولا تقديمها لضيف غير Muslim ، ولا أن تدخل في أي طعام أو شراب .

بقى هنا جانب قد يسأل عنه بعض الناس وهو استعمال الخمر كدواء . وهذا ما أجاب الرسول ﷺ عنه ، فقد سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : إنما أصنعمها للدواء . قال ﷺ : أنه ليس بدواء ولكنه داء^(١) .

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى ، بت : ٦٦ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »^(١).

ولا عجب أن يحرم الإسلام التداوى بالخمر وغيرها من المحرمات ، فإن تحريم الشيء — كما قال الإمام ابن القيم^(٢) — يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق وفي اتخاذه دواء حضر على الترغيب فيه وملابسته ، وهذا ضد مقصود الشارع .

قال : وأيضا ، فإن في اباحة التداوى به — ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه — ذريعة إلى تناوله للشهرة واللذة ، وبخاصة إذا عرفت النفوس أنه نافع لها ، ومزيل لاسقامها ، جالب لشفائها .
وأيضا فإن في هذا الدواء المحرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء .

وقد تنبه ابن القيم رحمة الله إلى جانب نفسي هام فقال : إن من شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول ، واعتقاد منفعته ، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء . ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين بما يحول بينه وبين اعتقاد منفعتها وبركتها ، وحسن ظنه بها وتلقيه لها بالقبول ، بل كلما كان العبد أعظم إيماناً كان أكراه لها ، وأسرأ اعتقاداً فيها ، وكان طبعه أكراه شيء لها ، فإذا تناولها في هذه الحال كانت داء لا دواء^(٣) .

(١) رواه البخاري تعليقا ، ت : ٦٨ .

(٢) انظر زاد المعاد ج ٣ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٣) المصدر السابق ينصرف .

من أجل ذلك علق الإسلام بالخمر جملة من الأحكام ، تلاقى جميعها وتعاون على إنقاذ العقل المؤمن من شر تلك المادة الخبيثة ، وبالاستقراء كان للخمر في الإسلام عدة أحكام .

• فأولها الحرمة القطعية ، وقد ثبتت بالقرآن ، والقرآن هو المصدر الأول لتشريع الأحكام . وثبتت بالسنة ، والسنة : هي المصدر الثاني لتشريع الأحكام ، تبين بجمل القرآن ، وثبتت مالم يعرضه القرآن . وثبتت بالإجماع .

• والإجماع : اتفاق أهل الدرية ، وهم أولو الأمر المذكورون في الآية التي أشارت إلى مصادر التشريع الإسلامي ، وهي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطعوا الرسول وأولى الأمر منكم »^(١) والإجماع ، كما جاء في هذه الآية ، هو المصدر الثالث لتشريع الأحكام ، وهو مبني على الاجتهاد ، وبذلك الواسع ق تحرى المصلحة التي توقف عليها حياة الأمة وانتظام شأنها وتقدمها . وهذه المصادر الثلاثة : القرآن ، السنة ، الإجماع مرتبة في العمل ، كما هي مرتبة في الآية ، فلا سنة ولا إجماع فيما يخالف القرآن ، ولا أجماع فيما يخالف السنة ، فإن وجد الحكم في القرآن فهو المصدر ولا مصدر سواه ، وإن وجد في السنة ، فهي المصدر ، ولا مصدر سواها ، وإن لم يوجد في القرآن ولا في السنة ، فعل الفقهاء أهل الدرية بقواعد التشريع العامة ، ونبهات المصالح ، أن يجتهدوا ، فما اتفقا عليه فهو الحكم ولا حكم سواه .

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء .

- نخلا عن كتاب المحتوى للأمام الأكابر : محمد شبيب .

• وقد ثبتت حرمة الحمر بالمصادر الثلاثة وهي مما لا يقبل التغيير لتعلقها بلازم لا ينفك ، ثبتت بذلك الآية الصريرة : « يا أيها الذين آمنوا إما الحمر والميسير والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتبيوه لعلكم تفلحون ، إنما يربد الشيطان أن يوقد ينكم العداوة والبغضاء في الحمر والميسير ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون »^(١)؟ وقد احتوت الآية على جملة من أساليب التحرير القوية :

لأولاً : نظمت الحمر مع مظاهر الشرك لي توحيد الله وعبادته ، وهي الأنصاب والأزلام في سلك واحد « إما الحمر والميسير والأنصاب والأزلام » .

وثانياً : وصفت الجميع بأنه « رجس » واستخدمت كلمة « إما » الدالة على أنه لا صفة لها سوى الرجسية ، ويتبع كلمة « رجس » في القرآن لم نجد لها إلا عنواناً على ما أشتد قبحه ، وعظم عند الله تحريمه « فاجتبيوا الرجس من الأوثان »^(٢) ، فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون »^(٣) .

« كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »^(٤) « فأعرضوا عنهم ، إنهم رجس ومواههم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون »^(٥) « أو لحم خنزير فإنه رجس »^(٦) ، وهكذا اندرج

(١) الآيات ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة (٤) الآية ١٤٥ من سورة الأعجم .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الحج . (٥) الآية ٩٥ من سورة التوبه .

(٣) الآية ٢١٥ من سورة التوبه . (٦) الآية ١٤٥ من سورة الأعجم .

شرب الخمر مع الكفر والكافرين ، وعبادة الأوثان تحت كلمة
١ رجس ٤ .

وثالثاً : وصفت الآية الخمر بأنها من عمل الشيطان ، وهو
كتابة في اللسان العربي ، وفي الأسلوب القرآني ، على غاية
الطبع ، ونهاية الشر .

ورابعاً : أمرت الآية باجتنابه « فاجتنبه » ومعناه : أن تكون
الخمر في جانب المؤمن في جانب بحيث لا يقربها ، فضلاً عن أن
يتصل بها ، فضلاً عن أن يتراولها .

وخامساً : علقت الآية على اجتنابه رجاء الفلاح ، والفلاح
يتضمن السلامة من الخسران والحصول على خير الدنيا والآخرة .
وأرشد ذلك إلى أن الأقرب من الخمر يقع في الخسaran العام
المطلق .

وسادساً : أرشدت الآية إلى أثره السيء في علاقة الناس بعضهم
مع بعض ، يقطع الصلات ، ويدفع لسفك الدماء وانتهاك الحرمات
« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والمسير » .

سابعاً : سجلت الآية أن من آثار الخمر ، بعد هذاضرر
الاجتماعي ، ضرراً آخر روحياً ، يقطع صلة الإنسان بربه ، وينزع
من نفسه عظمة الله عن طريق مراقبته بالصلة الخاشعة ، وتذكر
جلاله وحاله ، وذلك بما يترك في القلب من قسوة ، وفي دنس .
ويفسدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . وأخيراً . تختم الآية هذه

الجهات كلها بهذا الاستفهام التقريري الدال على غاية التهديد : « فهل أنت متبرون ؟ .. تلك أساليب التحرير التي تضمنها آية الخمر ، وانه لفني الواحد منها ما يملاً قلب المؤمن بربه رهبة من غضبه إذا ما حدثه نفسه أن يقترب من الخمر .

وعلى هذا المبدأ ، الذي قررته الآية بتلك الأساليب المختلفة في تحريم الخمر ، جاءت عن الرسول الأحاديث الصحيحة بروايات متعددة ، وأسانيد مختلفة : كل مسكر خمر وكل حمر حرام / ، لعن الله الخمر ، شاربها وساقيها ، ومتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه .

والأحاديث في تحريمها ، وتحريم صنعها ، والاتصال بها على أي نحو من الأشخاص أكثر من أن تخصى ، حتى قال العلماء : ثبت عن النبي ﷺ تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ، وأجمعت الأمة من لدن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا على تحريمها ، وبذلك استقرت الحرمة حكماً للخمر في الإسلام ، وصارت حرمتها من المعلوم من الدين بالضرورة ، ومن لوازمه ذلك أن من استحلها وأنكر حرمتها يكون خارجاً عن الإسلام ، وأن من يتبعوها طائعاً مختاراً يكون فاسقاً عن أمر الله ، خارجاً على حلوه ، عاصياً لأحكامه .

فمن استحل الخمر بعد هذا التحريم الذي تعددت مصادره وتتنوعت طرقه ، وقويت أساليبه ، وأنشر أمره انتشاراً لا يمكن أن يخفى على مسلم في بلاد الإسلام فهو مرتد عن الإسلام ، لأنكاره معلوماً من الدين بالضرورة .

★★★

من أخبار الأمم السابقة :

أن امرأة أرادت إغراء رجل صالح .. فدعته إلى بيتها وهو لا يعلم سبباً لهذه الدعوة ، حتى إذا انفردت به غلقت الأبواب ثم قالت له : اختار واحداً من أربعة :

أما أن تزني في ، أو تقتل هذا الطفل الذي يجلس معنا ، أو تشرب كأساً من هذه الخمر ، وأما فضحتك أمام الناس .

فقال الرجل في نفسه .. الخمر أهون هذه الأشياء .. ثم رضي أن يشرب كأساً وما كاد يفرغ منه حتى طلب ثالياً وثالثاً حتى سكر .. فلما بلغ هذه المرحلة من السكر . زنى بالمرأة ، وقتل العلام .

ويقال أن أبليس ظهر له وقال : إذا أردت أن أنقذك فاسجد لي من دون الله .

ففعل .. فتركت أبليس وفر هارباً ، وانتهى الأمر بهذا الرجل إلى الكفر .

وفي الجاهلية قبل الإسلام كان جماعة من الأنصار جالسين في شرب الخمر قبل أن يحررها الإسلام ، فشربوا ثم سكرروا فبعث بعضهم ببعض وثار بعضهم على بعض بالضرب والقتل ، فلما صحووا وزال عنهم السكر ، قال بعضهم لبعض : والله ما فعل في فلان هذا إلا لقد كامن في قلبه على قبل السكر ، فنشبت بينهم الحرب سنتين عديدة حتى أطفاءها الله بالإسلام وببعثة محمد — عليه الصلاة

والسلام — وأنزل الله ۚ واذكروا اذ كنتم أعداء فالله بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته أخوانا ۖ .

وقد قال النبي — ﷺ — لأشجع عبد القيس : ما هذه الشجة
التي أرى في وجهك . فقال : يا رسول الله إن رجلا من قومي شرب
الخمر فسكر ، فضربني بلمحى جمل حتى شجنى . فقال : نعم . قاتل
الله الخمر هكذا تفعل بشاربها ۖ وذكر ابن رجب في اللطائف : أن
رجلًا كان يشرب الخمر وكانت أمه تهأه عن شربها ، فبيتها هي ذات
يوم وقد سجرت تنورها فجاء ابنها وهو سكران فحمل أمه وقدف بها
في التسور فاحتقرت^(١) .

أما بالنسبة للحشيش والأفيون ونبيرها من المخدرات كالكوكايين
والهيروين فان شيئا منها لم يكن موجودا على عهد الرسول ﷺ .

إنما فشت هذه المخدرات وعرفت منذ غزو التار للعالم
الإسلامي .. كما أن الهيروين والكوكايين من المخلقات التي أشتقت من
الحشيش والأفيون في عصرنا الحاضر .

صحيح أنه ورد حديث ترويه السيدة عائشة عن النبي ﷺ
تقول فيه : نهى رسول الله . عن كل « مفتر » والمفتر أخف كثيرا من
المفتر . ولو طبقنا هذا الحديث تعبيعا حرفيا لشمل أشياء كثيرة
تدخل في نطاق « المفتر » وإن لم تكن محمرة . ومن باب أولى أن
ينطبق هذا الحكم على المخدرات بأنواعها المختلفة .

(١) نقلًا عن كتاب أخمر والمسكريات : الشيخ عبد الله بن زيد .

ولما كان من أهم مقاصد الشريعة : حماية العقل . والدين . والسل . والمال والعرض . فليسوف لا تكون بحاجة إلى دليل بحث كل هذه المخدرات التي تذهب بالمال والدين والعقل ، وتدفع ب أصحابها إلى التساهل والتغريط في الشرف والعرض .

ولما كانت كلمة « الخمر » تطلق على كل ما خامر العقل . كما قال ذلك سيدنا عمر فإن هذا الحكم يشمل كل ما يخرج العقل عن طبيعته المميزة المدركة سواء أكان هذا « خمرا » أم « مخدرا » جامدا .. أم سائلا ، سواء تناوله بالفم والشم ، أو بالحقن في الوريد أو العضل . فالتحريم هنا يدور مع السبب والعلة التي من أجلهما حرمت الخمر .

وعلى هذه الحركة أجمع فقهاء الإسلام الذين ظهرت في أزمنتهم هذه الخبرات وفي طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال : هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أم لم يسكر .. وإنما يتناولها الفجار لما فيها من الشدة والطرب ، فهي تجتمع الشراب المكر في ذلك ، والغمر توجب الحركة والخصوصة ، وهذه توجب الفتور والذلة ، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل ، وفتح باب الشهوة ، وما توجبه من الدياثة (فقدان الغيرة) ما هو شر من الشراب المسكر . وإنما حدثت في الناس بعدوث التمار . وعلى تناول القليل والكثير منها حد الشرب — ثمانون سوطا أو أربعين .

ومن ظهر منه أكل الحشيشة فهو متصلة من ظهر منه شرب الخمر وشر منه من بعض الوجوه ، ويعاقب على ذلك كما يعاقب هذا . قال : وقاعدة الشريعة أن ما تشتبه التفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحد ، وما لا تشتبه كالميته ففيه التعزيز ، والخشيشة مما

يشتهياً أكلوها ، ويستعنون عن تركها ، ونصوص التحرم في الكتاب والسنّة على من يتناولها كما يتناول غير ذلك^(١)

يقول الإمام ابن تيمية أيضاً :

إن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصر في الرجل غنث وديانة وغير ذلك من الفساد ، وأ أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظاً ومعنى .

ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال . فإنه يستتاب . فإن تاب ولا قتل مرتدا لا يصل عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

وقد ذكر الشيخ قطب الدين العسقلاني أن في الحشيش مائة وعشرين مضرّة : دنيوية وأخروية .. نذكر منها :

تفتت الكبد . والجذام والبرص . وموت الفجأة . وتصيب العيون بالاعفاء . وتورث الجنون . وتخلط العقول . وتسقط المرأة وتهلك المال والثروة . وتقتل الغيرة وتكشف العورة . وتنسى الإنسان ذكر ربه . وتورث الكسل عن الصلاة وحضور الجماعات . وتندفع المدمن إلى الوقوع في المحظورات . وارتکاب المحرمات وأ أنها تورث أكثر من ثلاثة داء في البدن . وكل داء منها ليس له دواء .

(١) ثناوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٦٢ وما بعدها ، راجع « السياسة الشيعية » له أيضاً .

المراجع : الوسيط في شرح قانون المخدرات الجديد المستشار حسن عكوش الطبعة الرابعة ١٩٧٤ ص ٢٢٩ .

ان العالم اليوم يتعرض لأشد الكوارث ، وفي مقدمة هذه الكوارث هذه المخدرات التي تحولت إلى وباء ينذر بأخطر الخاطر .. لقد أوشك شعب « الصين » أن يتني بسبب ادمانه الآفيون لولا أن تداركه الله بلطنه ، وفي يوميات حرب « فيتنام » أن من أهم أسباب الانسحاب الأمريكي من هذه الدولة انتشار المخدرات بين ضباط وجنود الحملة .

ان المخدرات تأتي في مقدمة أسباب هذا الانهيار الخلقي .. الذي يجتاح العالم .

والمأساة أن عدداً من دول العالم يدعم هذه التجارة وملوكها غير المتوجين مما أدى إلى اتساع نطاقها بصورة خطيرة لم يسبق لها مثيل .. فقد ذكر جورج بوش نائب الرئيس الأمريكي ورئيس فرقـة العمل المكلفة بمكافحة المخدرات في جنوبي قلوريدا أن حجم تجارة المخدرات يصل إلى ما قيمته ١١٠٠ (١) مليار دولار في العام الواحد ..

وتؤكدت الزيادة الخطيرة في حجم هذه التجارة عندما أذاعت وزارة الخارجية الأمريكية تقريراً شاملـاً عن الصورة الحقيقية لتجارة المخدرات على مستوى العالم .

وطبقاً لما أورده التقرير فإن إنتاج الكوكايين وهو المخدر الذي يلقى رواجاً كبيراً من المدمنين في الولايات المتحدة وأروبا زاد بنسبة

(١) لقد ذكرنا قبل ذلك أن ما يطلق على المخدرات في الولايات المتحدة بلغ سبعة عشر ألف مليون دولار .

ثلاثين في المائة ، في الوقت الذي انخفض فيه الانتاج العالمي من الماريجوانا ومن الحشيش بنسبة ضئيلة لا تتجاوز عشرة في المائة ..

وال المشكلة الحقيقة تمثل في الزيادة الوهمية في الانتاج العالمي من الكوکايين الذي أصبح ادمانه موضة في دول العالم المتقدم ، و ذلك على الرغم من الجهد المكثف التي يقوم بها عدد من دول العالم بقيادة الولايات المتحدة لكيح جاح انتشار هذا الخدر على المستوى العالمي ..

وأضاف تقرير الخارجية الأمريكية أنه لم يتم تدمير أي مصنع من مصانع انتاج الكوکايين خلال العام الماضي ١٩٨٤ في بوليفيا و ذلك على الرغم من أن هذه الدولة تعد ثانى أكبر منتج لنبات الكوکة الذي يستخلص منه الكوکايين في العالم .

واعترف التقرير بأن انتاج الكوکة تضاعف ثلاث مرات خلال الفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٤ . ومن ناحية أخرى اتسع نطاق زراعة الكوکة بصورة مضطربة خلال نفس الفترة في دولة بيرو وهي من الدول الرئيسية في انتاج الكوکايين ولا يقتصر الأمر على مجرد زيادة انتاج الكوکة في الدول المنتجة لها أساسا ، بل أن الخطير في الموقف أن زراعة الكوکة اتشرت بصورة متواالية في كثير من الدول الأخرى مثل أکوادور ..

ففي العام الماضي ١٩٨٤ لم تكن أکوادور من الدول المنتجة لنبات الكوکة ، ولكن في العام الحال ١٩٨٥ وصل محصول الكوکة في أکوادور إلى ما يقارب ألف طن الأمر الذي يضعها كثالث أكبر دولة

ستجة للكوكة في العالم بأسره .

وفي الماضي . كان خبراء المخدرات على ثقة بأن نبات الكوكة لا ينمو سوى على منحدرات الجبال المكشوفة وبالتالي تسهل عملية الكشف عنه ومكافحته ، ثم تبين لولاء الخبراء أن هناك نوعا آخر من الكوكة يطلق عليه اسم « ايادو » ويمكن أن ينمو بغير زارة في الأراضي والغابات .

ويعرف دانتي فاسيل عضو الكونجرس الأمريكي عن ولاية فلوريدا أنه رغم وجود بعض التطورات المشجعة في الحرب التي تشنها واشنطن ضد المخدرات في أمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية إلا أنه من المؤكد أن الولايات المتحدة بدأت تخسر هذه الحرب ..

ومن الأمثلة التي تشير إلى خطورة الموقف وحجم وضراوة حرب الكوكايين أن سلطات الجمارك في ميامي بالولايات المتحدة أفت القبض في فبراير من العام الحالى على عدد من المهربين وهم على متنه طائرة تقانة من طراز بوينج - ٧٤٧ تابعة لشركة الخطوط الجوية الكولومبية بعد اكتشاف أكثر من ألف كيلو جرام من الكوكايين خبأة في ٣٢ صندوقا وتقدر قيمة الكوكايين المضبوط بما يساوى ٦٠٠ مليون دولار ..

المهم أن هذا الحادث لم يكن الوحيد من نوعه خلال السنوات الأخيرة ، بل كان الحادث الرابع والثلاثين خلال الخمس سنوات الأخيرة .. فقط .

ومع أشتداد حملات مكافحة المخدرات وتفسيق الخافق على

التجارة المحرمة ، يصبح المسؤولون عن هذه الحملات هدفاً لعمليات انتقامية من جانب ملوك المخدرات ..

ففي نوفمبر الماضي عُلّ سبيل المثال واجهت جهود واشنطن لمكافحة المخدرات تهديدات حقيقة على ثلاث جبهات منفصلة ..

ففي كولومبيا ، انفجرت قبلة تحت سيارة تابعة للسفارة الأمريكية في العاصمة بوجوتا مما أسفر عن مصرع سيدة ، كما تلقت السفارة الأمريكية تهديدات من مجهولين بقتل الموظفين الأمريكيين المسؤولين عن مكافحة المخدرات هناك مما أجبر السفارة الأمريكية في نهاية الأمر إلى ترحيل ١٧ من موظفيها مع عائلاتهم وإعادتهم إلى الولايات المتحدة .

وفي بيرو لقي ١٩ من العاملين في البرنامج الأمريكي لمكافحة المخدرات مصرعهم وتعرض أربعة منهم للتعذيب قبيل قتلهم .

وفي بوليفيا ، اكتشف رجال المخابرات الأمريكية أن اثنين من تجار المخدرات هناك دفعاً نصف مليون دولار لأحد المسلحين مقابل قيامه باختيال أدوبين كور السفير الأمريكي في العاصمة « لا باز » ، الأمر الذي أدى إلى تشديد الحراسة عليه ودفعه إلى تغيير طريقة المعتاد بصفة دائمة .

ولا تبدو هناك بارقة أمل في أن وطأة العنف سوف تختبوء ، بل المتوقع عكس ذلك تماماً ..

ويقال أن ملوك المخدرات في كولومبيا أقسوا على قتل خمسة

أمريكيين مقابل أي رجل من رجالهم يتم تسليمه إلى الولايات المتحدة .

كذلك رصد ملوك المخدرات هناك ٣٠٠ ألف دولار مكافأة لمن يأتى بأحد رجال مكافحة المخدرات في كولومبيا حيا أو ميتا ..

المؤلم أن سلطات كولومبيا لا تملك أن تفعل شيئا إزاء هذا الارهاب السافر من جانب ملوك المخدرات ، ويكتفى بعض المسؤولين هناك بتأكيد أن كبار تجارة المخدرات يعنون تماما ما يقولونه وأن أحد لا يملك أن يقترب عليهم مناطقهم ولا تعرض للحرب حتى الموت ..

وتولى إدارة الرئيس الأمريكي ريجان اهتماما كبيرا بمحاربة المخدرات وفتحها أولوية قصوى ، إذ شارك في هذه الحرب ٣٧ من الهيئات الفيدرالية و ١١ وزارة أمريكية .

وتشن الولايات المتحدة حربها في هذا الشأن على عدد من الجبهات والمستويات وتبدأ من محاولة استئصال عاصيل الكوκة من سفوح جبال الأنديز إلى استخدام الكلاب المدربة لاكتشاف وجود الكوκايين .

كذلك عممت واشنطن إلى اللجوء إلى الاجراءات السببية في حربها ضد المخدرات فقد أقر الكونغرس الأمريكي في أكتوبر ١٩٨٣ تعديلاها يخول الرئيس الأمريكي قطع المعونة عن أيّة دولة تحقق في تحقيق التخفيف المستهدف في إنتاج المخدرات .

ومن المتوقع أن تكون بوليفيا أول ضحية لهذا التعديل طبقا لما يعتقد كل المسؤولين في واشنطن ، خاصة وأنه من المقرر أن تتلقى

مساعدات أمريكية خلال العام المالي الحالى تقدر بحوالى ٤٨ مليون دولار .

وقد أعلنت بولاهو كينز عضو مجلس الشيوخ الأمريكي والذى تولت الدعوة لهذا التعديل أن بوليفيا لن تحصل على أى دولار واحد من الولايات المتحدة بعد الآن .

وعلى الرغم من كل تلك الجهود العديدة التى تبذلها الإدارة الأمريكية على جهود مختلفة للحد من تجارة المخدرات ، فإن النتيجة ليست إيجابية على الأطلاق ، بل على العكس فقد زادت كميات الكوكايين التى تم ضبطها ثلثاً مثلاً منذ عام ١٩٧٧ وحتى الآن كذلك ففاز سعر كيلو الكوكايين في الولايات المتحدة من ٢٣ ألف دولار إلى ٣٥ ألفاً خلال السنة الماضية .

ففى خلال أسبوعين فقط من شهر يناير الماضى صادرت السلطات الأمريكية في ولاية فلوريدا أكثر من طنين من المخدرات وهو يتعدي ما ضبطه رجال مكافحة المخدرات الأمريكيون جميعهم خلال عام ١٩٨١ .

وتعني هذه الكميات الهائلة من الكوكايين والمخدرات التى تم ضبطها أن المخدرات لا تزال تتدفق على نطاق واسع إلى داخل الولايات المتحدة أما عن طريق ميامي أو عبر ولايات أريزونا وتكساس وكاليفورنيا علاوة على ذلك فإن إنتاج نبات الكوκة يزدهر وبتضاعف وتنتشر معامل إنتاج الكوكايين ومرآكز التهريب بصورة مضطربة لتغطي نصف الكرة الغربى .

هل تريدين مزيداً من الأدلة — بعد ذلك — أيتها الاخت .. ؟
— لا أظن ...

فالحلال بين .. والحرام بين .. ومن حام حول الحمى أو شرك أن
يقع فيه .

وأعوذ بالله .. ل .. ولك .. ولكل إنسان يشاركتنا الحياة فوق
ظهر هذا الكوكب من هذا المصير المخزن .. المفجع ..
وأنها لأكثـر كارثـة أن تنتهي الحياة على هذا النحو من الضياع
والبلـاهـة .. والشـرد ..

التَّلْفِيْزُون .. وَالجَرِيمَة ..

وتقول أختنا المسلمة :

إن التلفزيون يبلو لي كوباء .. تساوى خطورته مع الخمر والمخدرات ولكن على المدى البعيد .

لقد لاحظت أن الناس يرغبون كثيراً في مشاهدة الأفلام الأوروبية والأمريكية .. عن مشاهدتهم للمحاضرات أو الأخبار التي يمكن أن تعلمهم شيئاً ذا قيمة ..

أو أنهم يشترون كافة أنواع شرائط الفيديو الضارة بالعقل .

أنتي أخشي بأن هذه الأفلام والشرائط قد تجلب العنف إلى بلد لا زالت الحياة فيه هادئة .. حيث أن الطرقات أكثر أمناً فيها . عن البلاد الأوروبية ..

وأعتقد أنه من المؤسف أن أرى المصريين الذين تجدهم في أغلب الأوقات يملون أعيجاتهم بأوربا يقلدون بعض عادتهم السيئة مثل ارتداء الملابس الخليعة ، وشرب الخمر ...

ومن جهة أخرى .. فإن مشاهدتهم للتلفزيون تمنعهم من القراءة التي نصت عليها بوضوح السورة رقم (٩٦) ^(١) ، وتنعهم من أرتياز المساجد التي أقامها الناس بتوفيق من الله - بدلاً من مشاهدتها في

(١) سورة العلق ، وهي أول ما نزل من القرآن .

التلفزيون فقط . حيث أن الإنسان لا يشعر بعظمتها إلا عند تأدبة الصلاة فيها ..

أنتي أحاب حاولت جاهدة اقتناع ابنتنا بأن تحسن اختيار ما تشاهد في التلفزيون ، ولكن هناك صعوبة كبيرة في منها من مشاهدة ما يعرضه التلفزيون في منازل الأصدقاء الذين يتزورهم .

أنتي أدرك بأن صورة الإنسان أو الحيوان مما يحرمه القرآن ، ولكن القرآن لا يتعارض مع العلم وبالتالي فإنه يبيّن بأن اليراع التي تزيد معرفة الناس هي التي يجب انتاجها لكي يشاهدها المسلمون .

سوف أكون شاكراً لتوسيع هذه النقطة حيث أنتي أرى الكثير من الناس الذين يتصرفون تصرفاً إسلامياً ما زالوا يشاهدون التلفزيون بكثرة . للدرجة انهم يؤجلون الصلاة حتى ينتهي المسلسل .

وأقول للأخت السائلة :

إنها لمصادفة عجيبة أن أبدأ الإجابة عن التلفزيون وأثاره المدمرة بعد حوار ساخن بيني وبين بعض الأقارب الذين فوجئت بتجمعهم أمام هذا الجهاز في وقت صلاة المغرب ... انهم يصلون ... ولكن الحوار كان بسبب تأخير الصلاة إلى حين ينتهي المسلسل ...

لقد تذكريت على الفور ما قلته في سؤالك من أن كثيراً من الأسر تؤخر الصلاة عن مواعيدها لهذا السبب ، وهي كارثة أخلاقية تتعرض لها الأسرة المسلمة بسبب تأثير هذا الجهاز .. المدر .. المغرب ..

لقد حاولت في حواري مع هؤلاء الأقارب أن أثير في أنفسهم عاطفة الإيمان فالتوجيه العنيف لا يجدى في مثل هذه الحال .. ما لم تكن هناك رغبة قلبية صادقة في مقاومة هذا الأخلاص ..

لقد تجسدت كلماتك أمامي حرفا .. حرفا .. وتحولت هذه الكلمات والمحروف إلى سهام تهش هذا الجهاز وتغزقه أربما .. وبشاء الله جلت قدرته ... أن أقرأ - بعد ذلك - في مجلة أسبوعية حواراً مع اخت مسلمة - كان لها تاريخ سابق - في التمثيل والفن ..

لقد حاول المحرر الفنى لهذه الجملة أن يستدرجها إلى الماضي الذى رکله إلى غير رجعة . فإذا باختنا المؤمنة ترفض هذا الاستدراج وتسمى بآياتها فوق هذه الدنيا ، وكانت المفاجأة في أجابتها على سؤال عن التمثيل ووصفها إياه بأنه رجل .. وأنها تمنع أولادها من مشاهدة الفيديو والتلفزيون لأنهما امتداد لهذا الرجل الذى اسمه التمثيل^(١) والفن والرقص ..

لقد وضعت سؤالك هذا - أيتها الاخت - البعض على الريح .. بل هي جراح عديدة تقيح في جسم المجتمع الذى سرى فيه هذا السم .. وهى محاولة خبيثة في محاكاة أوروبا ونقلبها فيما لا ينفع ... ويضر .. بل هي موجة جديدة من موجات الغزو الصليبي ولكن في صورة أخرى هي القتل بدون إراقة دم ..

(١) مجلة المصور عدد ١ أغسطس ١٩٨٦ م ..

لقد كان نظام التعليم الغربي محاولة عميقة وخفية لابادة العنصر الاسلامي والقضاء عليه .

وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الاسلامي أكابر « (الله آبادى) في أسلوبه الطريف الخاص إذ يقول :

« يا ليلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكلبات ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحلوثة في التاريخ » .

كما أوضح الفرق بين ساسة الشرق والغرب في بيت آخر يقول : « إن أهل الشرق يقضون على العدو بشدح رأسه ، ولكن التعليم الغربي يغير طبيعته وقلبه » .

وجاء اقبال بعده بسنوات وقد أكتوى بنار هذا التعليم الغربي وخاص في وحله ، فأبدى حقيقته في أسلوب أكثر عمقاً وحرارة :

يقول اقبال :

« أياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها » .

« ان التعليم هو « الحامض » الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كما يشاء ، ان هذا « الحامض » هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية ، هو الذى يستطيع أن يجعل جبرا شاحعاً إلى كومة من

تراب «^(١)».

لقد جرف تيار نظام التعليم الغربي لشباب الاسلامي في البلاد العربية والعجمية ، وغير عقلتهم الى حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تسيغ الاسلام الصحيح ، وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الاسلامي أيضا ويصبحون جزءا منه ، ويشير الى ذلك « اقبال » يقوله :

« ان سحر الأفرنج ، أو فيه أذاب الصخور وأسالها ماء »^(٢).

وقد جاء في سؤالك أن « التلفزيون » بصورته الراهنة يستوي مع المخر على المدى البعيد لأنه ينهى عن الصلاة ، ويصرف الناس عن ذكر الله وبالتالي يحول بينهم وبين الذهاب الى المساجد التي هي بيت الله ، ويحررهم من المتعة الروحية التي يرون دونها كل شيء في هنا الحياة .. وأوافقك تماما على هذه الرؤية .. وهذا الرأى .. وهي موافقة يؤيدها الواقع والتجربة و يؤيدتها تكاسل الناس عن الصلاة كما ذكرت في هذه المقدمة .

وفي هذا يقول أحد مفكري فرنسا المتحاملين على المسلمين والإسلام :

ما دخلت مسجدا قط .. دون أن تهزني عاطفة حادة .. أو بعبارة أخرى : « ما دخلت مسجدا قط دون أن يصيبني أسف محقق على

(١) أرمغان حجاز . نفلا عن كتاب « الصراع بين المفكرة الاسلامية والمفكرة الغربية للعلامة أبو الحسن الندوى » ص ١٦٧ وما بعدها .

(٢) المصادر السابقة ص ١٧٠ .

أنت لم أكن مسلماً^(١) .

وقد أحسن «مونسيكيو» في قوله :

ان المرأة أشد ارتباطاً بالدين الحاصل بكثير من الشعائر منه بأى دين آخر أقل منه احتفالاً بالشعائر ، وأن دين المسلم يتمثل في خليله ، وفي الصلوات اليومية ، يتجلّى هذا الدين في طريقة تعبدية خاسعة مؤثرة لا تستطيع أن تترك العابد والشاهد كلّيما غير متأثرين .

يقول سعيد بن الحسن . أحد يهود الاسكندرية الذين اعتنقا الإسلام عن مشهد صلاة الجمعة في أحد المساجد باعتباره عاماً مؤثراً في تحوله إلى الإسلام في خلال مرض شديد كان قد اتاهه :

«... عندما دخلت المسجد .. رأيت المسلمين يقفون صفوفاً كأنهم الملائكة ، وسمعت هائلاً يقول :

هذه هي الجماعة التي أخبر الأنبياء — صلوات الله عليهم — بقدومها .. ولما ظهر الخطيب مرتدياً عباءته السوداء . استولى على شعور عميق من الرهبة .

ولما ختم خطبته بكلمات «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وابتناء به ذي القرى وينهى عن الفحشاء والنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» .. وبذات الصلاة .

أحسست بقوة تدفعني إلى النهوض . لأن صفوف المسلمين بدت أمامي كأنها صفوف الملائكة . الذين يتجلّى الله العظيم في سجاداتهم .

(١) الدعوة إلى الإسلام . سير توماس أرنولد ص ٤٥٩ .

ثم سمعت هاتفها يهتف في :

و اذا كان الله قد تحدث مرتين الىبني اسرائيل في كل العصور . فإنه يتتحدث إلى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة ، وأيقنت في نفسي أنني خلقت لأكون مسلماً^(١) .

وبادئ ذي بدء ..

أريد أن يكون واضحاً لديك .. أن أقتاء التلفزيون أو الفيديو ليس عرماً شرعاً، هذه قضية لا تخطر ببال أحداً .. فاساءة استعماله ، أو سوء اختيار برامجه لا يعني الحكم بالاعدام على هذا الجهاز الذي يمكن أن يصنع الكثير من أجلنا ومن أجل عقيدتنا .. كما لا يجوز أن نقول أن حل السلاح للدفاع عن الدين والوطن جريمة ، لأن القتلة وعصابات « المافيا » والمصوّص تستعمل هذا السلاح في أغراض أخرى .

ان القضية هنا ليست قضية « التلفزيون » كأداة ووسيلة ، ولكن المشكلة هي في كيفية استخدامه ، والإرتقاء ببرامجه ، و اختيار الأنفع والأصلح لتحقيق مصلحة هذا الشعب ورقية وقدمه .

أم يقل الجنرال شارل ديغول رئيسكم الأسبق في معرض الحديث عن التلفزيون :

(١) الدعوة الى الاسلام - سور نورمان أرنولد - ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

أعطنى هذه الشاشة الصغيرة ، وسترى كيف أغير هنا الشعب
الفرنسي ..

وقد فهمت من سؤالك أن التصوير يدخل في دائرة التحرير ،
وهي قضية فرغ منها العلماء والجتهدون حيث أنهم انفقوا على أن
التصوير الشمسي لا يقع في دائرة الحرمة ، وأن التصوير المبني عنه أنها
هو التصوير المجد أى صناعة التمايل التي تشبه في هيئتها أصنام
المجاهلية ..

وكما تعلمون .. فإن التصوير الشمسي أو الفوتوجراف أصبح من
ضرورة الحياة في عصرنا الحاضر ، وتحقيق المصلحة فيه مما لا يجادل
فيه مسلم عاقل ... وحيث كانت المصلحة ... كان شرع الله ورحمته
ب لهذا العالم .

نعود إلى قضيتنا الرئيسية .. إلى التلفزيون الذي أصبح الشغل
الشاغل للعلماء والغيورين على مستقبل الحياة فوق هذه الكرة
الأرضية .

يقول بعض الخبراء أن المرء يحصل على المعلومات أو المعرفة
الإنسانية عموماً عن طريق الحواس الخمس ، وبعد عدة تجارب
وجدوا أن الإنسان يحصل على معلومات (١) بالنسبة المئوية التالية :
عن طريق البصر ٧٥٪ ، عن طريق السمع ١٣٪ ، عن طريق اللمس
٦٪ ، عن طريق الشم ٣٪ ، عن طريق التذوق ٣٪ .

(١) عن مجلة الأمة عدد رمضان ١٤٠٦ .

وقد أجريت بعض التجارب للتأكد من دور الصور في تذكر المعلومات ، حيث أثبتت بعض المخاضرات على عدد من المستمعين من أعمار وتخصصات ومستويات تعليمية مختلفة لمدة ساعة ، وكان قوام المخاضرة الواحدة ست صفحات فولوسكاب ، وفي اليوم التالي طلب إلى المستمعين تسجيل ما يتذكرون من المخاضرة ، فكانت النتيجة في كل الأحوال لا تزيد عن نصف صفحة فقط مما ألقى عليهم ..

ثم أجريت تجارب أخرى وعرضت على المبحوثين أفلام تحمل مضمون المخاضرات نفسها ، وطلب اليهم أيضا في اليوم التالي تسجيل ما يتذكرون فكانت النتيجة أن متوسط ما يتذكرة كل واحد منهم ٧٥٪ من المعلومات التي عرضت عليهم حتى في أدق التفاصيل ..

وقد تبين من دراسة تحليلية^(١) لعينه من المضمون الأجنبي المنافع في التلفزيون المصرى أن القيم السلبية تشكل ٤٦٪ من مجموع القيم التي عكستها هذا المضمون ، حيث يركز على دور الفرد بصفة أساسية دون النظر إلى الجموع ، ويستخدم القسوة والعنف كوسيلة حل الصراع ، ويتعصب بشدة للمجتمع الأمريكى ، حيث تعكس المسلسلات الأمريكية عقيدة الشعب الأمريكى والمزايا التي يتمتع بها ، كما تظهر الدول الأخرى في صورة سبئة وتصفهم باجهل والتأخر ، وتزداد خطورة هذا المضمون بطرق غير مباشرة على المشاهدين - خاصة الأطفال - حيث يركز على جوانب العنف

(١) عن مجلة الأمة عدد رمضان ١٤٠٦ .

والجريمة ، ويروج لحوانب الأخلاق ، ويبرز ضعف الروابط الأسرية وانفصال الآباء عن الآباء .

بالإضافة إلى ذلك نجد أن هنا المضمون الأجنبي لا يحمل معه ما ينبغي أن تسميه في أطفالنا بل يؤدي إلى تبييت قيم ومفاهيم خاطئة وضارة بالمجتمع ، ولا يؤكد على المعلومات والقيم التي لابد من التأكيد عليها للطفل ، حيث يجب فتح عقول أطفالنا على قضائيانا مع مراعاة قواعد التربية وعلم النفس حتى تتناسب هذه البراج مع الأعمار المختلفة وما يناسب كلًا منها .

- والتليفزيون هبط بمستوى النقاوة والخلق عند الأطفال .
- والتليفزيون يعمل على الإقلال من معرفة الطفل ويأخذ من وقت القراءة .
- والتليفزيون يساعد على انتشار العنف عند الأطفال ويعمل على نشر الجريمة .

فالتلفزيون يأخذ الطفل من أحضان أمه ولا يوفر وقتا للعلاقات العائلية ، وبالتالي ساعد على غربة الطفل في بيته وشعوره بالانعزال^(١) .

ولقد نشرت مجلة الإذاعة والتليفزيون^(٢) في عدد سابق عبارة شهيرة لأحد النقاد المعروفين قال فيها :

(١) نقلًا عن مجلة الأزهر — للأستاذ حسني عل المحبسي .

(٢) مجلة الإذاعة العدد رقم ١٨٧٣ الصادر في ١٩٧١/٢/٦ .

« لقد كنا نخاف على البنت أو الولد ونمنعها من دخول « الكباريه » فأدخل التلفزيون « الكباريهات » إلى كل بيت ... !!

حتى العلاقات الزوجية فقدت قدسيتها وتحولت إلى مجموعة من المشاهد الشهيرة التي تدور حول علاقات حجرة النوم بين الزوجين ..

والملاحظ أن الأقبال على التلفزيون يطغى على جميع وسائل الاتصال لدى الأطفال وهنا — في الحقيقة — خطورة الموقف إذ يسيطر التلفزيون ويتأثر بنصيب الأسد في عدد المشاهدين من الأطفال .. ومن هنا ننادي بضرورة التدقق فيما يقدم من موضوعات ..

وفي تجربة أجرتها الباحثون في هذا الميدان تبين لهم أن معدل السن الذي يبدأ فيه الأبناء التعرف على التلفزيون هو ٢٨ سنة ، وفي تجربة قام بها نفس الباحثين في سان فرانسيسكو للتمييز بين استعمال الطفل للتلفزيون وبين الاستعمال المتنظم فوجدوا أن :

.٣٧٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز في سن الثالثة .

.٦٦٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز في سن الرابعة .

أكثر من .٨٠٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز في سن الخامسة (وهي سن الذهاب إلى رياض الأطفال)

وأكثر من .٩٠٪ من الأطفال يستخدم هذا الجهاز بانتظام في سن السادسة (وهي سن المرحلة الابتدائية في السنة الأولى) .

وإذا ما قارنا بين استخدامهم للتلفزيون واستخدامهم لأية وسائل إعلامية أخرى لوجدنا أن التلفزيون في المقدمة فمثلاً في سن الثالثة

يشاهد الطفل ٤٥ دقيقة يومياً ، كذلك فإن ٩٠٪ من الأطفال يعرفون « التلفزيون » حتى المعرفة قبل أن يقرأوا أول صحيفة .

٨٠٪ من الأطفال يتعرفون على « التلفزيون » قبل أن يتعلموا في المدرسة نطق أي كلمة مكتوبة .

٦٦٪ من الأطفال يتعودون على المشاهدة قبل أن يذهبوا إلى « السينما » هذه الحقائق تشير إلى أن هذا الجهاز يتحكم وقناً كبيراً من وقت أطفالنا ويصل إليهم قبل أية وسيلة أخرى .

وتشير نتائج أحد الابحاث التي أجريت لمعرفة كم من الزمن يقضيه الطفل مع التلفزيون فوجدوا الآتي :

— الطفل الذي في سن الثالثة يقضى ٤٥ دقيقة في المشاهدة في الأيام العادلة وتزداد هذه المدة مع كبر السن حتى تصل إلى ساعتين ونصف في سن الخامسة .

— وفيما بين الخامسة الابتدائية والثانية الاعدادية تزيد مدة المشاهدة حتى تصل إلى أكثر من ثلاثة ساعات ..

والارقام السابقة الذكر لها دلالات خطيرة .. فمعنها أن الطفل خلال سنوات تعلمه في المدرسة يقضي مع التلفزيون ٥٪ من الزمن الذي يقضيه في المدرسة ومن سن الثالثة إلى السادسة عشر يبلغ مجموع الزمن الذي يقضيه الطفل مع التلفزيون أكثر من الذي يقضيه في المدرسة ، ويقول الباحثان : شرام وباركر .. إن الطفل يقضي من وقته في مشاهدة التلفزيون زمناً أطول من الذي يستغرقه في أي نشاط آخر إلا النوم واللعب ..

والغريب أن الباحثين وجدوا أن أكثر الأطفال مشاهدة للتلفزيون هم الذين رزقوا ذكاء أقل من غيرهم .. لأن الأكثر ذكاء يتحول إلى القراءة وإلى الكتاب وإلى أشياء أخرى نافعة ..

ويلاحظ أن ٥٠٪ من الأطفال يشاركون الكبار في مشاهدة برامج التلفزيون في الفترة الأولى من السهرة وهنا أيضاً يمكن الخطورة الذي يجب أن يراعيه التلفزيون ، وهذا يهدى الكثير من الآباء مخاوفهم من الأنطباعات التي تحدثها برامج العنف والجريمة على عقول أبنائهم الصغار ، وكلما زادت ثقافة الوالدين كلما كان خوفهم أكبر على أولادهم من هذا الجهاز ..

والحقائق والأرقام السالفة الذكر تقول لنا أن التلفزيون يقتطع بعض الوقت المخصص للعب لأن في برامجه ما يشبع نفس الرغبات التي يحبها الطفل عن طريق اللعب^(١) ..

ويرى كثير من الباحثين أنه من الصعب أن نشير إلى عمل سلوكي محدد منسوب إلى طفل ما ونقول أن هذا السلوك بسبب مشاهدة التلفزيون ..

ونحن نرى أن في هذا الرأي كثيراً من التجني وعدم الواقعية ، فمن خلال زيارة لنار الأحداث في الجيزة ، وجدت أكثر من حالة لأطفال ارتكبوا جنایات عقب مشاهدتهم لأفلام يعرضها التلفزيون ... ويجعل الكثير من كتب الدراسات الإعلامية بالعديد من القضايا التي تؤكد تأثير التلفزيون على الطفل .

(١) المصدر السابق .

كذلك فإننا نتفق مع الرأى القائل بأن الطفل الذى يشاهد أحد البراع ، ويتعلم منها — مثلاً — كيفية ارتكاب جريمة سرقة ، وقام بها فعلًا ، فإن هذا الطفل بلا شك — غير طبيعى ، مختلف عن غيره من الأطفال في خصائص نفسية كثيرة .. وأن لديه الاستعداد أصلًا ... ثم قد ساعدته على ذلك ما يراه في التلفزيون ..

وهنا يمكن الخطورة .. حين يقوم التلفزيون بدور الباعث أو المثير .. ، فمهما حاول رجال الإعلام أن يخفوا من تأثير التلفزيون على الطفل فإننا نقول بدلاً من ذلك . ابحثوا كيف ت NFC هذا الجهاز من الشوائب التي يعرضها ..

ومن الآثار السيئة للتلفزيون أنه يسبب ارهاقاً لعين الطفل . نتيجة استمرار تركيز البصر على الصورة ، وذلك نتيجة عدم فهم الطفل للجملة الصحيحة أمام التلفزيون ، أو حين تم المشاهدة في حجرة مظلمة حيث يزيد ذلك من حدة الضوء الذي تستقبله العين ، ومن هنا وجب على الآباء أن يعلموا أولادهم القواعد الصحيحة للمشاهدة ومن الآثار السلبية أيضاً أنه يعود الطفل على السهر والنوم متأخرًا مما يجعله متورطاً عندما يستيقظ مبكرًا ، وينام أثناء الدرس في المدرسة .. ومن أخطر الآثار السلبية أيضاً أنه ثبت بالفعل — أنه يعلم الطفل العنف وينمى استعداده للجريمة ، وكما يقولون إذا كان السجن هو الكلية التي تخرج المجرمين ، فإن برابع العنف هي المدرسة الإعدادية التي تبذّر بدور الشر في نفس الطفل ..

وتشير الأحصائيات التي أجريت في الولايات المتحدة إلى أن التلفزيون يساعد على انحراف الأحداث ، حيث أنه خلال السنوات

العشر الأخيرة التي انتشر فيها التلفزيون زاد عدد الجرائم لدى الأحداث إلى أكثر منضعف ..

ويشجع التلفزيون على الانطوائية لدى الطفل نتيجة عدم التفاعل مع أسرته أو بين أفراد الأسرة فهم دائمًا صامتون — إلا فيما ندر — وهم يشاهدون التلفزيون ، وبعد المشاهدة يكونون قد تعبوا ولا توجد رغبة في الحديث أو المناقشة ..

وتأتي خطورة تأثيرات هذا الجهاز في كونها لا تحدث مباشرة أو في ساعتها وإنما تأتي بعد مدة طويلة وتتأثرها تراكمي وعلى المدى البعيد .. وهذا القول يتفق مع رأيك تماماً أيها الأخـت ..

ف شهر فبراير عام ١٩٧٦ م نشرت إحدى الصحف الألمانية مقالاً جاء فيه أن فتاتين لا يتجاوز عمرهما (١٢) عاماً التقتا بصبي غريب عنهما قتلتاه ، وعندما سُئلتا عن السبب الذي دفعهما إلى ذلك أجبتا بأنهما ترغبان في معرفة ما هو القتل ..؟

وتبين للتحقيق أنه في الليلة السابقة لارتكاب الجريمة شاهدت الفتاتان على شاشة التلفزيون فيلماً فرنسيًا بعنوان « فريق اللذة » كان البطل يركل زوجته بقدميه حتى ماتت في المشهد النهائي .. وبعد ذلك أُنفقت الفتاتان على ممارسة عملية القتل بنفسهما .

وفي بعض البلاد العربية أوقفت النيابة العامة إحدى المسلسلات الإذاعية عندما أرتكب أحد الأشخاص جريمة مطابقة للجريمة الإذاعية تماماً ، كما قام بعض الشباب بمداهنة أحد المقاهي في القاهرة بالمدافع

الشاشة على غرار ما شاهدوه على شاشة السينما .

وإذا ما أستعرضنا بعض الدراسات التي قام بها العلماء حول هذا الموضوع ، نجد الدراسة التي قام بها الدكتور « وليام يلسون » أستاذ العلوم الاجتماعية البريطاني لمعرفة العلاقة بين مشاهدة الأطفال للعنف في التلفزيون وبين اكتساب سلوكهم صبغة العنف في حياتهم العملية ، ومن نتائج هذه الدراسة أن الصغار الذين يشاهدون الكثيرون من برامج العنف في التلفزيون يتسم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل من هذه البرامج ، ومن نتائج الدراسة أيضاً أن هناك خمسة برامج تلفزيونية تتسبب في انتشار العنف وهي « أفلام رعاة البقر » ، مباريات الملائكة والمصارعة ، الأفلام والثنيات التي تظهر على الشاشة ممارسة الأشخاص للعنف ضد بعضهم بعضاً ، البرامج التي يظهر فيها الصغار وهم يزاولون العنف ، وأخيراً البرامج التي تظهر العنف وكأنه سلوك طبيعي (١) .

ف شهر رمضان المأذني (٢) وقعت جريمة بشعة في مدينة الاسكندرية كان التلفزيون هو المتهم الأول فيها ...

فقد نشرت صحيفة « الجمهورية » في يوم ٢١ مايو ١٩٨٦ م — نبراسها في هذه المدينة — ما يلى :

(١) عن مجلة الأمة الفطرية — رمضان ١٤٠٦ هـ .

(٢) ١٤٠٦ هـ .

قتل « رجب رشدى » صاحبة المنزل الذى يسكن فيه ، وأصاب
أبنتها بعد طعنها بالسكين ..؟..

ويقول المراسل فى سبب وقوع هذه الجريمة :
كانت القتيلة واسمها « سنية محمد سليم » قد طلبت من القاتل
شخص صوت « التلفزيون » أثناء مشاهدته الفوازير نظراً لوجود مأتم
فشققتها التى تقع أعلى شقته ..

ولكن المتهم رفض ذلك . وقال : انه يجب مشاهدة الفوازير بهذه
الطريقة .. فنطور الكلام إلى مشاجرة ، وأسرع القاتل إلى احضار
السكين .. وطعن « سنية » حتى لفظت أنفاسها .. وعندما جاءت
أبنتها « عواطف أبو العطا » طعنها هي الأخرى ، وتم نقلها إلى
المستشفى في حالة خطيرة ..

ان هذه الجريمة ليست جريمة واحدة .. بل هي عدة جرائم
متداخلة يدينها الإسلام واحدة بعد واحدة .

أولاً :

هي جريمة قتل نفسيين مسلمتين بغير الحق .

ثانياً :

هي اهدار لكل الحقوق التى أكدتها الإسلام للجار مع جاره حتى
لو كان هذا الجار غير مسلم ..

ثالثاً :

هي استهانة بكل المشاعر الإنسانية ، والقيم النبيلة التي لا يكون
السلم . مسلماً إلا بمراعاتها واحترامها .

رابعاً :

هي : عدوان على القانون الذي يحرم استعمال هذه الأجهزة
بصورة تزعج الآخرين أياً كان موقعهم في داخل البيت أو في
خارجه .

وأخيراً :

فإن السبب — الذي من أجله — وقعت الكارثة صفر تحركه
أصغار أخرى من التفاهات والتّيشيليات ، والبراجم التي تثير الغرائز
والشهوات .

وهي في النهاية جريمة قتل ضد الشعب .. وعقيدته ، وفيمه
ومثله ..، ضد ماضيه وحاضره ومستقبله ..

أنه كما تقولين وباء .

وما لم يتدارك المسؤولون هذا الأمر ويفلقوها منافذ هذا الشر ،
ويوقفوا هذه البراجم على الفور .

فلسوف يتحول المجتمع إلى غابة .. غابة تتذر فيها الوحش من
صحبة إنسان هذا العصر .. غابة يصبح الأمن والأمان فيها أسطورة
تحكي لمن أخنى عليه الزمان والدهر .. !!

أَخْرِجُوا التِّلْفِزِيُون
مِنْ غُرْفَةِ الْأَطْفَالِ ..

في السنوات الأخيرة أوجد انتشار التلفزيون ، هبوما جديدة للوالدين ، وعلى رغم تراكم الدلائل على الأضرار الناجمة عن أدمان الجلوس أمام هذا الجهاز ومعاينة براجحة جزافا من غير تمييز ، فإننا نراه يزداد شعبية بين الأولاد .

لو كت مسؤولا عن تربية ولد لما توانيت ، كما يفعل أكثر الوالدين ، في مراقبة البراجم التلفزيونية التي يحضرها ، ذلك لأنني صرفت خمس سنوات في درس عالم الأطفال المغير ولاحظت أن الوقت الذي يقضونه أمام التلفزيون أمر فاضح ومنشـن ، لو كـت آباً لأولاد عدد الساعات التي يقضونها أمام المعلم أو المعلمة ، لو كـت آباً لأولاد دون الخامسة عشرة لما سـمح لهم باقتداء جهاز تلفزيوني في غرفهم لأنـه يغـربـهم بالجلوس أمامـه على الدوام .

أنا لا أدعـو إلى التخلـي تماماً عن التـلفـزيـون . هناك برـاجـم تـهجـجـ الأطفال وـمن الـواـجـب اـرشـادـهـم إـلـيـها ، لكنـي أحـذرـ الأـهـلـ من إـطـلاقـ حرـيةـ أولـادـهـمـ فيـ مشـاهـدةـ أيـ برـاجـمـ كانـ ، وـذلكـ لـالأـسـابـ الآـتـيةـ :

١ - أـخـافـ أنـ يجعلـ منـهـمـ التـلفـزيـونـ أـولـادـاـ فـاقـدـىـ النـوقـ والـرـصـانـةـ ، يـخـقـرونـ الـكـبـارـ وـيـسـيـئـونـ فـيـهـمـ الـظـنـ .

لـذـكـرـ مـثـلاـ الإـعـلـانـاتـ المـوـجـهـةـ إـلـيـ الـأـطـفـالـ ، الـتـيـ يـخـشـىـ

* هذا المقال نفتـاهـ عـنـ مجلـةـ RIBDARDـ اـبـحـاثـ منهـ «VANCE DACKARD» ٢٠ آـغـسـطـ ١٩٨٣ مـ .

أن تحوّلهم مصادر ازعاج و مشاكسة للأهل . فرأت مرة عن مدير برامج للأولاد قال في موضوع العمر المناسب للإعلان : « إذا أردت ترويج بضاعتك ، أختذل الولد معلومنا لك في البيع . لأنّه لا يفتّ بلاحق والديه بالإلاعنة حتى ينال منها ما يريد .

الأولاد يصلقون عادة كل ما يقوله لهم الكبار ، ويغضبون خصوصاً لسحر الأكاذيب التي يرويها أرباب الدعايات في التلفزيون . فبين السن السابعة والعشرة ، بناء على تحقيق أجرته مجلة هارفرد بيزنس ريفيو ، يبدأ شرك الأطفال في ما يسمونه من أخبار وأفلوبل خاطئة أو مبالغ فيها . فإذا بلغوا الحادية عشرة أو الثانية عشرة أصبحوا قليلاً الثقة بالناس شديدي السخرية والوقاحة .

وتفيد الدراسات أن ما يشهده الأطفال في التلفزيون من مؤامرات ومحاولات وخداع من المحتالين المتلاعبين بالعقل ، من شأنه أن يضعف ثقفهم الغالية بوالدين يبذلان لهم العطف والإخلاص .

٢ — أخاف أن يجعلهم إدمان حضور البرامج التلفزيونية جامدـى الفكر محدودـى الخيـال .

في مقابلة عنوانها « المعضلة الالكترونية » نشرت في مجلة « أطفال اليوم » أعلن الكاتب وجود نوعين من الشبه بين إدمان التلفزيون وإدمان المخدرات : كلامـاً يـنـقل صاحـبه إـلى عـالم خـيـالـي ، وكـلامـاً يـحدثـ فيهـ حالةـ جـمـودـ وـذـهـولـ .

ويلاحظ عموماً أن مدمني التلفزيون يحصلون في امتحانات القراءة علامات دون التي ينالها زملاؤهم الأقل مواطبة على الجلوس أمام الشاشة ، فهل يدفعهم الإدمان إلى تقليل الإهتمام بوظائف الدرس اليدوية ؟ هل يجد من قدرتهم على المطالعة الحرة فيضعف ثقافتهم العامة ؟

لا ريب في أن مصاحبة التلفزيون لمدة طويلة لا تثير الفكر كالمطالعة . ومن مساوىء إدمان هذا اللهو أنه يجد من أوقات اللعب عند الولد ، واللعب ضروري لنموه لأنه يساهم في توسيع خياله وإزالة قلقه ، ويعطيه فرصة الاختكاك بغيره من الأولاد فيزيد قدرته على التعبير والمناقشة ضمن حدود الألفة ، وهذه مكاسب لا يستغني عنها الأولاد .

٢ — حينمالاحظ في الأولاد علامات القلق والأضطراب أكاد أجزم بأن التلفزيون هو المسؤول .

الشاشة المتحركة تعطى صورة مضطربة للكون . هناك من يخافون أن يؤدى الإدمان إلى أضطراب قوة الانتباه عند الوليد . وإلى ذلك يصاب دماغه بالتعب الناشيء من استغراقه في دوامة العرض . وقد لاحظت . بيتر برازلتن ، وهو طبيب أطفال شهير في كلية الطب بجامعة هارفرد ، أن الأطفال دون الخامسة من العمر يظهرون علامات تعب إذا شاهدوا البرامج التلفزيونية أكثر من ساعة في اليوم .

أريد من التلفزيون الذي أحبه عامل تأثير في أولادي ، أن يكون قوة دافعة منشطة في حياتهم ، كيف يتم ذلك ؟ يتم أولاً بإبعادهم عن

البراج المهيجة ، المثيرة لسوء الظن في الناس ، التي تسخر من موظفي الدولة وحماة القانون ، والمشحونة باعلانات مغربية للأطفال .

وكل أسبوع أراجع دليل البراج بصحبة أولادي ونختار معا تلك التي نبتو أكثر امتناعا وفائدة .

• براج استكشاف وتجارب علمية ونحوها .

• براج تحرك الخيال .

• براج تربينا جماعة من الأولاد والبالغين يشاركون في عمل أو وظيفة .

ان عزل الصغار عن الكبار ظاهرة عصرية مقلقة .

براج تهم بمناقشة مشكلات التلوى لدى الأولاد أو نعوها من مشكلات تهم الرأي العام ، ونلاحظ هنا أن البراج الاخبارية تتبع لأولاد هذا الجيل أن يفهموا العالم أكثر مما فهمه أولاد الجيل الماضي .

بعد مراجعة البراج المعروضة نقوم معا ، أنا والأولاد ، بوضع لائحة بالبراج اختاره . فإذا كانوا تلاميذ دون الرابعة عشرة ، سمح لهم باختيار عشر ساعات مترجمة من اللائحة ، ساعة كل يوم ، إبتداء بالاثنين وانتهاء بالخميس ، وساعتين أيام الجمعة والسبت والأحد ، فلا أسمح لهم بأكثر من ساعة في اليوم . وإذا ألم أحدthem على مشاهدة برنامج من ساعتين في يوم دراسي ، فإنه يحرم برنامج الليلة التالية .

في سن مبكرة ، في الرابعة مثلا ، يستطيع الأولاد أن يتعلموا التمييز بين الإعلانات التجارية والبراج العادية . فأشرح لهم الغاية من الإعلانات ، وألقت انظارهم إلى ما فيها من مبالغة وغموض .

« كَا يَكُونُ الْأَهْلُ يَكُونُ الْأَوْلَادُ » كَلَّا نَعْرُفُ صِحَّةً هَذَا الْمُثُلُ .
وَلَوْ كَنْتُ أَبَا لِأَطْفَالِ الْيَوْمِ لَمَا أَسْتَرْخَبَتْ سَاعَاتٍ أَمَامَ الْجِهازِ
السُّحْرِيِّ الَّذِي نَدْعُوهُ التَّلْفِيْزِيُّونَ ، بَلْ لِفَضْلِتْ تَمْضِيَهُ وَقْتًا فِي الْمَطَالِعَةِ
وَتَحْسِينِ الْبَيْتَةِ الَّتِي أَعْيَشُ فِيهَا ، وَخَصْوصًا فِي مَلَاعِبِ أَوْلَادِيِّ .

عَوْدَةٌ إِلَى الْقِيمَ وَالنَّقَالِيْدِ الْإِسْلَامِيَّةِ

في مجموعة أخرى من الأسئلة : تقول أختنا الفرنسية المسلمة :

لقد ذكر البخاري في حديث له :

« إن الرسول كان يصلّى وهو يعتلى ركوبه في الاتجاه الذي تقصده ناته » .

هل يمكنني أن أستدلّ من هذا الحديث أنه يجوز أن أؤدي الصلاة بالطائرة أو بالعربة أثناء الطيران أو السير حتى لا أؤجل العديد من الصلوات ؟

* وفي سؤال آخر تقول هذه الأخت :

إنني أدرك بأن على المسلم أن يكون رحيمًا بأى مخلوق حي ، والقرآن يوصي بأن تنقل الأحمال على الحمار ، على ما أذكر ، وقد ذكر في الحديث قصة (هارلوت) التي أنقذت نفسها عندما نزلت إلى البئر لاحضار الماء ل الكلب عطشان وكذلك المرأة التي ستدخل النار لأنها قيدت قطفتها وتركها تموت جوعا .

إن القسوة ضد الحيوانات ، حقيقة تثير الألم في نفسى وكذلك أيضا الطفل الذى يريدنى أن أجع كل القطة الضالة من الطريق وأحضرها للمنزل لرعايتها .

هل هناك سورة أخرى أو حديث يمكنني أن أتعلمها وأن أذكرها لفؤلاء الذين يؤذون الحيوانات ؟

• وفي سؤال ثالث تتساءل عن قيمة الوعود في الإسلام ، وهل يستقيم الإخلال بها دون الإساءة إلى الله ؟

وهل السبب في ضياع الوقت يبر دون عقاب (الوقت المخصص لك) وبخاصة في الجلوس طوال اليوم في حين أن الواجبات قد أهملت ومصالح الآخرين قد تعطلت ؟

أليس الوقت هو جوهر الحياة ؟

• وأخيراً تقول الأخت (أ - ح) : لقد عرف الإسلام بأنه أنظف الأديان في العالم ، فلابد للمرء من تأدبة الصلاةخمس مرات يومياً ولا يمكنه تأدبتها دون الوضوء وكذلك تأدبة الصلاة بملابس نظيفة .

أنتي أدرك أنه لا يمكن الجمع بين الإسلام وال المسلمين ، ومع ذلك فأنتي أصدمنا عندما أذهب للصلاة بالمسجد وأجد السجاجيد في غاية من القنارة .

في العام الماضي ذهبنا في زيارة إلى جبل سيناء ووجدنا هناك مسجداً صغيراً استخدمناه السائحون الألمان كمكان للراحة يأكلون فيه شرائح الخنزير ويشربون البيرة فلم يسعنا إلا أن نقوم بتنظيفه ونرفع زجاجات البيرة وما تبقى من طعامهم .

التي أرفق قصاصة من مراسل صحفية « لي موند » ، الذي أبدى فيها الصحفى دهشته من الوضوء قائلاً : « أليس هذا تلوثاً » . وأخيراً وليس آخرها ، لقد شاهدت عند سفح جبل النور القريب من مكة – صفحات من القرآن الكريم مبعثرة على الأرض ، وقريب منها

جيفة شاه وعندما قام زوجي بالتقاط هذه الصفحات من القرآن ، كان هناك مواطن يقف بالقرب منا ، لقد قال موضحا أنه ليس لديهم حالياً يمينون « أليس من واجب كل مسلم أن يعمل على أن تكون الأماكن المقدسة وأماكن العبادة وما حولها على الأقل نظيفة ؟

اللسان عن الذين نعرض للخطر احتلالات دخول الناس في الإسلام إذا كان سلوكنا عكس ما هو مطلوب منا ، وعكس ما يطالبنا به الإسلام ؟

في البداية .. أرى أن نجيب أولاً على السؤال الخاص بالصلاحة في القطار أو الطائرة .. كي نفرغ بعد ذلك إلى هذه القضايا والمشكلات التي تمثل عقبة كبيرة في طريق فهم الإسلام بالنسبة لغير المسلمين وبخاصة في بلاد متقدمة كأوروبا وأميركا .

وأقول للأخت الغيورة المسلمة :

تحوز الصلاة في السفينة سواء أكانت واقفة أم سائرة في الماء ، فإذا كانت السفينة واقفة ، فإن الإنسان يصل كصلاته إذا صلى على الأرض ، لأنها تكون حبيبة مستقرة وثابتة ، ولا بد له حينئذ من الركوع والسجود والتوجه إلى القبلة ، وغير ذلك من شروط الصلاة .

أما إذا كانت السفينة سائرة ، فإن أمكنه — بلا مشقة — الخروج إلى الشاطئ ليصل عليه ويعود فعل ، وإن لم يتمكن من ذلك ، أو كان فيه مشقة ، صلى في السفينة واقفا إن استطاع ، أو صلى قاعداً إن

صعب عليه الوقوف ، ويتجه في أول الصلاة نحو القبلة ، فإذا دارت السفينة في أثناء الصلاة بسبب سرها أستدار المصلى وهو في الصلاة إلى جهة القبلة بقدر استطاعته ، فإن لم يمكنه ذلك ، أو لم يستطعه ، أو شق عليه ، صلى في أي اتجاه ، ولا يبعد صلاته .

ومثل هذا — أو قريب منه — يقال في صلاة القطار أو الطائرة أو السيارة ، فإنه في القطار يبدأ صلاته متجهاً إلى القبلة ، فإن تحرك القطار أو المحرف أو دار ، وسهل عليه أن يستدير في صلاته نحو القبلة فعل ، وإن لم يسهل عليه صلى كما يستطيع ، دون تحول أو استدارة .

وقط الطائرة يمكنه أن يصل واقفاً أو قاعداً ، دون التزام بالتحول نحو القبلة في أثناء الصلاة مادام ذلك غير ميسور : (يريد الله بهكم اليسر ، ولا يريد بهم العسر) .

والله تعالى أعلم .

نعود بعد ذلك إلى :

(أ) الإسلام .. ونظرته إلى الحيوان ، ومعاملة الإنسان لهذا الحيوان أو الرفق بهذا الحيوان .

(ب) الإسلام .. وتقسيمه للوقت ، واحترامه للوعد .

(ج) والإسلام .. واعتباره بالنظافة واعتبارها شرطا من شروط صحة العبادة ، وركنا من أركان الحياة والحضارة .

ان الإسلام ينظر إلى عالم الحيوان كآمة من الأمم .

« وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بمناجية إلا أم أمثالكم »^(١) .

وما دام « عالم الحيوان » آمة كغيرها من الأمم فقد أوصى الإسلام بهذا الحيوان ، وقرر له حقوقا يجب أن تراعى وتلتزم .. فله حق الرفق والرحمة كحق الإنسان « الراحون برحمة الرحمن »^(٢) . من أعطى الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة^(٣) . بل إن الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة : « بينما رجل يمشي بطريق إذ أشتد عليه العطش ، فوجد بمرا فنزل فيها ، فشرب ، فإذا كلب يلهمت بأكل الترى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البش فعلا خفه ماء ، ثم أمسكه بهيه حتى رق فسق الكلب ، فشكر الله تعالى له فغفر له ، قالوا يا رسول الله : وإن لنا في البهائم لأجر؟ فقال : في كل ذات

(١) سورة الأنعام ٣٨ .

(٢) أعددنا في هذه الاجابة على ما كتبه المرحوم الدكتور مصطفى الباعي عن « الرفق بالحيوان » في كتابه من « رواي حضارتنا » من ١١٠ وما بعدها . سني من المعرف .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم .

(٤) رواه أحمد .

كيد رطبة أجر .

كما أن القسوة على الحيوان تدخل النار و دخلت امرأة النار في هرة ربطنها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ^(١) .

ونصي الشريعة في تشريع الرحمة بالحيوان ، فتحرم المكث طويلاً على ظهره وهو واقف فقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تخنعوا دوابكم كراسى ^(٢) »

وتحرم اجاعته وتغريضه للضعف والمزال . فقد مر عليه السلام بغير قد لصق ظهره بيده فقال : « اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة ^(٣) »

كما تحرم ارهاقه بالعمل فوق ما يتحمل . دخل رسول الله بستانًا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبي حن وذرفت عيناه ، فأتااه رسول الله فسمح دموعه ، ثم قال : من صاحب هذا الجمل ؟ فقال صاحبه : أنا يا رسول الله ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أفلأ تقني الله في هذه البهيمة التي ملك الله إياها ، فإنه شكا إلى آنک تجيئه وتدئبه ^(٤) (أي تعبه بكثرة استعماله) .

كما تحرم التلهي به في الصيد « من قتل عصفوراً عثا عج إلى الله يوم القيمة يقول : يارب أن فلاناً قتلني عثا ولم يقتلني منفعة ^(٥) . واتخاذه هدفاً لتعليم الاصادة ، فقد « لعن رسول الله من اتخذ شيئاً في الروح غرضاً ^(٦) (أي هدفاً)

(١) أشترجه البخاري وسلم ومالك وأحمد وأبو داود .

(٢) أشترجه البخاري وسلم .

(٣) رواه أحمد والحاكم .

(٤) رواه النسائي وابن حبان .

(٥) رواه أبو داود وابن حزم .

(٦) رواه البخاري وسلم .

وتنهى عن التحرير بين الحيوانات ، ووسمها في وجوهها بالكتي والثار (أى كثبها لعلم من بين الحيوانات الأخرى) فقد « مر الرسول على حمار قد وسم في وجهه ، فقال : لعن الله الذي وسمه^(١) ». أما إذا كان الحيوان مما يؤكل ، فإن الرحمة به أن تحد الشفرة ، ويُسقى الماء ، ويراح بعد الذبح قبل السلخ : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلت فاحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذمة ، ولنجد أحدكم شفته ولنيرح ذيحيته^(٢) » .

بل أن أضجاع الحيوان للذبح قبل إحداد الشفرة قسوة لا تخوبز ، أضجع رجل شاة للذبح وهو يحد شفتره ، فقال له عليه السلام : « أتريد أن تعيثها موتات ؟ هلا أحذنت شفترك قبل أن تضجعها^(٣) » .

وقال عبدالله بن مسعود : « كنا مع رسول الله في سفره ، فرأينا حمرة (طير يشبه العصفور) ، فلما جاء رسول الله قال : من فجمع هذه بولدها ، ردوا ولدتها إليها . ورأى قرية تحمل قد أحرقناها فقال : من أحرق هذه ؟ قلنا : نحن ، قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار^(٤) » .

وعلى ضوء هذه التعاليم يقر الفقهاء المسلمين من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال . فهم يقررون أن النفقة على الحيوان

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه سلم وأبو داود ومالك والترمذى .

(٣) رواه الطبراني والحاكم .

(٤) أخرجه أبو داود .

واجية على مالكه ، فإن امتنع أجير على بيعه أو الإنفاق عليه ، أو تسيبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأنته ، أو ذبحه إذا كان مما يُؤكل .

وقد ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم : إذا جلأت هرة عمباء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الإنصراف . ومنعوا من تحمل الحيوان أكثر مما يطيق ، ورتبوا على هذا نتائج حقوقية في حق من استاجر حيواناً للحمل أو الركوب فحمله أكثر مما يستطيع ، فألزموه بضمان ثمنه لمالكه ، وتعرضوا لقدر ما يستطيع البغل والحمار حمله ، ومن الطريف أن بعض الفقهاء قدر لكل منها مقداراً لم يرض فقيها آخر ، فعقب على ذلك بقوله : لعمري أن هذا انصاف للبغل واحجاف كبير بالحمار . أما جنائية الحيوان على غيره ، فهي جبار ، أى مهدرة ، فالحيوان لا يعاقب بما جنى على غيره ، وإنما يعاقب صاحبه إذا فرط في حفظه وربطه .

هذه هي مبادئ الرفق بالحيوان في حضارتنا وتشريعنا . فكيف كان الواقع التطبيقي لها ؟ ...

يبني رسول الله في بعض سفره ، إذ سمع امرأة من الأنصار تلعن ناقة لها وهي تركها ، فأنكر ذلك عليها وقال « خلنو ما عليها ودعوها فإنها ملعونة » ، وأخذت الناقة وتركت تمشي في الناس لا يعرض لها أحد^(١) .

(١) رواه مسلم .

ومر عمر برجل يسحب شاة برجلها ليندحها فقال له : ويلك
قدتها إلى الموت قوداً جميلاً ...

وهكذا كان طابع حضارتنا رفقاً بالحيوان وعناية به من قبل الدولة
والمؤسسات الاجتماعية .

أما عناية الدولة فليس أدل على ذلك من أى خلفاءنا كانوا يذيعون
البلاغات العامة على الشعب يوصونه فيها بالرفق بالحيوان ومنع
الأذى عنه والأضرار به .

فقد أذاع عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله إلى الولاية أن ينهوا
الناس عن ركض الفرس في غير حق .

وكتب إلى صاحب السكل (وهي وظيفة تشبه مصلحة السير)
أن لا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثديه أو أن يتخلصها بمقرعة في
أسفلها حديدة .

وكان من وظيفة المختسب (وهي تشبه في بعض صلالياتها وظيفة
الشرطى في عصرنا الحاضر) أن يمنع الناس من تحمل الدواب فوق
ما تطيق ، أو تعذيبها وضربيها أثناء السير ، فمن رأه يفعل ذلك أدهه
وعاقبه : ويجبرهم المختسب على فعل ذلك لما فيه من المصلحة ،
ولا يحملون الدواب أكثر من طاقتها ، ولا يسوقها سوقاً شديداً
تحت الأحوال ، ولا يضربونها ضرباً قوياً ، ولا يوقنونها في العراض
(الساحات العامة) وعلى ظهورها أحاماها ، فإن هذا كله نهت
الشريعة المطهرة عن فعله . وعلهم أن يراقبوا شعر العزوجل في علف
الدابة وعليقها ، ويكون موفراً عليها حيث يحصل به الشبع ،
ولا يكون مبخوساً ولا نزراً .

وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير .
وحسبنا أن نجد في ثبت الأوقاف القديمة أوقافاً خاصة لتطهير
الحيوانات المريضة ، وأوقافاً لرعاي الحيوانات المسنة العاجزة .

بل نسمع أن صحایا جلیلا کائی المرداء يكون له بعیر يقول له
عند الموت : يا أیها البعیر لا تخاصمنی إلى ربک فیاں لم أکن أحملک
فوق طاقتك ۱.

وأن صحایا کعدهی بن حاتم كان يفت الخبز للتمل ويقول : این
جارات لنا وھن علينا حق .

وأن أماما کبیرا کائی أسحق الشیرازی كان يمشی في طريق ومعه
بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره فنها الشیخ وقال له : أما
علمت أن الطريق مشترك بینا وبينه ۱۹

ولا نستطيع أن نقدر هذه الظاهرة البارزة في حضارتنا و موقفها
الإنساني الكريم مع الحيوان ، إلا إذا علمنا كيف كان يعامل الحيوان
في العصور القديمة والوسطى ، وكيف كان موقف الأم منه ومن
جناباته و تعذيبه .

وأول ما يلفت النظر في ذلك أنك لا تجد في تعاليم تلك الشعوب
ما يحمل على الرفق بالحيوان ووجوب الرحمة به . ومن ثم فلا تجد له
حقوقاً على صاحبه من نفقة ورعاية .

ويلفت النظر بعد ذلك أخذ الحيوان بجنابته إذا جنى أو جنى
صاحب ، ومعاملته في المسؤولية كمعاملة الإنسان العاقل المفكر ..
وهذا أغرب ما تضمنه تاريخ العصور القديمة والوسطى حتى القرن

الناسع عشر ، فقد كان الحيوان يحاكم فيها كما يحاكم الإنسان ، ويحكم عليه بالسجن والتشريد والموت كما يحكم على الإنسان الحال تماما ..

ففي شرائع اليهود « إذا نطع ثور رجلا أو امرأة وأفضى ذلك إلى موت الطيع ، وجب رجم الثور ، وحرم أكل لحمه ولا تبعة على مالكه إذا لم يكن الثور معتمدا النطع . فإذا كان ذلك من عادته ، وأنذر الناس صاحبه فلم يعبأ بإنتارهم وأهمل رقتاه حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة ، كان جزاء الثور الرجم وجزاء صاحبه بالإعدام . وهناك حالة ثانية يعاقب فيها الحيوان في شرائع اليهود وهي ما إذا وقع رجل أو امرأة ببيمة وجب قتل الحيوان والرجل أو المرأة معا .

وفي شرائع قدماء اليونان . كانت عندهم محكمة خاصة لمحاكمة الحيوانات والجمادات المتسيبة في هلاك إنسان ، وكان يطلق على هذه المحكمة اسم (البريتانيون) وهو اسم المكان الذي كانت تعقد الجلسات فيه .

أما قدماء الرومان ، فقد تضمنت شرائعهم مادة تقضي بعقوبة الإعدام على الثور وصاحبة إذا نقل الثور أثناء الحرف الحد الفاصل بين الحقل المفروث والحقل المجاور له . وأقرت عقوبة الكلب الذي يعض إنسانا بوجوب التخلص منه للبعض البعض يتصرف فيه كما يشاء ، وكذلك إذا رعن الحيوان عشا غير ملوك لصاحبه .

و كذلك الحال عند قدماء الجerman من عقوبة الحيوان كما كان عند الرومان واليونان أما عند قدماء الفرس فالأمر فيها أتعجب وأطرف . ذلك أن الكلب المصاب بالكلب إذا عض خروقا فقتلها ، أو إنسانا

فجرحه ، تقطع اذنه اليمنى ، فإن تكرر ذلك منه قطعت اذنه اليسرى ، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى ، وفي الرابعة تقطع رجله اليسرى ، وفي الخامسة يستأصل ذنبه ..

وعدد الأئم الأوروبيية في العصو الوسطى ، كانت فرنسا أول أمة أوروبية مسيحية أخذت في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرائمها أمام محكمة منظمة بنفس الطرق القانونية التي يحاكم فيها الإنسان . ثم أخذت به سردينيا في أواخر القرن الرابع عشر . ثم بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر ، وفي هولندا وألمانيا وإيطاليا والسويد في منتصف القرن السادس عشر ، وظل العمل به قائما عند بعض شعوب الصقالبة حتى القرن التاسع عشر ..

كانت محاكمة الحيوان عند الأوروبيين تقوم على إدعاء الجنى عليه أو التباهي العامة ، ثم يتقدم وكلاء الدفاع عن الحيوان المحرم ، وقد تقضي المحكمة بعيسى الحيوان احتياطيا .. ثم يصدر الحكم بعد ذلك وينفذ على ملايين الجمهور كما كان ينفذ في الإنسان . وقد يكون الحكم بإعدام الحيوان رجما أو بقطع رأسه أو بحرقه أو بقطع بعض أعضائه قبل إعدامه .

وتجدر هنا أن نذكر بعض المحاكمات الشهيرة للحيوانات عند الأوروبيين في القرون الوسطى . فمن أطرف المحاكمات وأشهرها ، محاكمة الفران في سنة أوتون بفرنسا في القرن الخامس عشر . فقد أتهمت الفران في هذه القرية بالتجمهر في الشوارع بشكل مزعج مقلق للراحة . وتقدم للدفاع عنها « شاسانيه » المحامي الفرنسي

وطلب التأجيل لأن القuran لم تتمكن من الحضور ، حيث فيها الرضيع والمريض والعجوز ، وهي تستطيع أن تستعد للمثول بين يدي المحكمة إذا منحت فرصة التأجيل ، فوافقت المحكمة على التأجيل لوقت معين ، ولما حان الوقت لم تحضر القuran ، فقال محامي الدفاع للمحكمة : إن القuran تذعن لأوامركم الموقرة ، وتود الحضور ، ولكنها يا حضرات القضاة تخشى وقوع الأذى عليها من القطط أن هي جاءت إلى هنا . فرد رئيس المحكمة قائلاً : إن من واجبنا تأمين المتهمين على حياتهم . فطلبت المحامي أن تأمر المحكمة بحبس قطط البلد كلها قبل مرور موكب القuran في الشوارع لتكون مطمئنة على حياتها ، فوافقت المحكمة على هذا الطلب لعداته ، وأصدرت أمراً يمنع القطط والكلاب من المرور في الشوارع تأميناً للقuran أثناء حضورها إلى قاعة المحكمة . ولكن أهل القرية رفضوا تنفيذ ذلك فاضطررت المحكمة إلى أن تحكم ببراءة القuran لأنها حرمت وسائل الدفاع المشروعة .. وقد نال المحامي بسبب هذه القضية شهرة ذاتية ، ولا ندري أن كان قد أخذ أتعابه من القuran أم لا ، وربما كانت أتعابه أن تعهد له القuran بعدم قرض كتبه وأوراقه .. !!

ومن أغرب قضايا محكمةحيوان في القرون الوسطى محاكمة الديلك الذي باض . فقد رفعت دعوى على ديلك في مدينة بالسويسرا عام ١٧٧٤ لأنّه باض ، وذلك في عرف الأوروبيين يومئذ جريمة شنيعة ، إذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديلك لاستخدامها في أغراضهم الشيطانية ، وقدم الديلك

للمحاكمة ، ودافع محامي عنه بقوله : كيف يكون الديك مسؤولاً عن واقعة لا حيلة له فيها ؟ ولكن المحكمة لم تأخذ بنظرية محامي الدفاع ، بل أصدرت حكمها بإعدام الديك ، وعللت حكمها بقولها : ليكون في ذلك عبرة لغيره من الديكة ؟ ..

وفي عام ١٤٩٥ وقعت قضية أخرى في فرنسا هي من أغرب الحالات الحيوانية أيضاً . فقد رفع أصحاب مزارع العنブ في مقاطعة « سان جولييان » دعوى على حشرات السوس بعثمة أنها اتلفت كرومهم وقضت على أشجارهم وصناعتهم وتجارتهم ، وتولى الدفاع عن هذه الحشرات أثنان من كبار رجال القانون ، وأستمرت القضية أربعين عاماً أنتهت بأن أصحاب الكروم سمعوا هذا التأثير ، فاتفقوا على إقطاع السوس قطعة أرض خاصة ليأكل فيها ما يشاء من زروع وأشجار^(١) .

وتسالين — أيتها الأخت — عن الوقت وقيمه في شريعة الإسلام .. وإنه لسؤال يثير في القلب غصة .. ويدين المسلم المعاصر بالسفه والبله ..، والبلادة ..

فحينما اتجهت هنا وهناك تجد بين ملايين الكسالى والشاردين عن هذه الحقيقة .. حقيقة الحياة التي تبدد في المفاهي ، والملاهي ، وعلى الأرصدة ، وحقيقة الزمن التي يلقها الضياع والخسارة والندامة ..

(١) أنتي من كتاب « من روائع حضارتنا » للمرحوم الشيخ الدكتور معطفى السباعي .

ومن العجيب .. أن ظاهرة انتشار المقاهى في بلادنا المسلمة ليس لها نظير في بلاد العالم .. والأكثر من ذلك عجباً أن معظم المترددين على هذه المقاوى من يشغلون وظائف تحصل بمصالح الناس ورفع المظالم .. وهي ظاهرة تسيء إلى المجتمع المسلم في أية دولة ، وتسيء إلى الإسلام كمنهج حياة وعقيدة . كما تسيء إلى الفرد المسلم وتصفعه بالعجز والتواكل والأنانية .

ان موقف الإسلام صريح وواضح تجاه هذه الظاهرة وشرائع الإسلام وأحكامه تدين هذه الجريمة التي استشرى خطرها في العالم الإسلامي كله .

يقول نبنا **عليه السلام** :

- مامن يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم : أنا خلق جديـد . وعلى عملك شهيد . فترود مني فاني لا أعود إلى يوم القيـامة ..
- وكان من دعاء الرسول **عليه السلام** : اللهم أجعل يومنا خيراً من أمسنا ، وغدراً خيراً من يومنا ..

وكما يقول ربنا عز وجل :

- إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات **الأولى الآليـاب** ..
- ويقول عز وجل : يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعيرة لأولى الأ بصـار .

ويقول عز وجل :

هـ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد
شكروا .

ولأن الوقت هو أغلى وأثمن ما منحه الله من نعم .. نرى الله عز
وجل يقسم بهذا الوقت في سور مختلفة من القرآن الكريم تعظيما
ل شأن الزمن والوقت في حياة كل مسلمة و المسلم ..

يقول عز وجل :

والفجر وليل عشر — والشمس وضحاها — والنهار إذا تجلى —
والضحى والليل اذا سجى — والعصر ان الانسان لفني خسر .

• لقد أقسم الله بسورة العصر لما فيها من الإرشاد والتوجيه بمنافع
الزمن . حتى لقد قال الإمام الشافعى في فضل هذه السورة : لو
تدبر الناس هذه السورة لكتفهم .

• ذلك لأن سبيل السعادة في هذه الحياة إنما هو : الإيمان والعمل
الصالح . وأن المسلم لم يخلق لنفسه .. بل خلق للناس جميعا ..
المسلم منهم وغير المسلم كان من طبيعة المسلم الحق الإيمان الحق ،
والعمل الصالح يقتضى هذا الإيمان الحق ، وأن يوصى غيره
ويدعوه إلى الإيمان الحق ، وأن يوصى هذا الغير بالصبر على تبعات
هذا الإيمان الحق . كل هذا لتعيش البشرية في سعادة وحب ،
وأن يعتصب الناس بالعروة الوثقى التي لا يعتريها ضعف ولا
شك .

فإذا ضعف الإيمان في القلب ، وعم الفساد والاخراف في الأرض وأختفى التناصح بين أفراد الشعب ، وحل الجزع والملع مكان التجلد والصبر خسرت الإنسانية وخسر الإنسان كل شيء .

- لهذا روى الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب .. أن الرجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، كانا إذا التقى لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر .
- وقد أقسم الله بالعصر لما فيه من التقلبات والأعاجيب الدالة على قدرة الله سبحانه ، وعلى عظيم سلطانه . الذي يصرف الإنسان كما يشاء من الصحة إلى المرض ، ومن الغنى إلى الفقر ، ومن النذر إلى العز ، ومن القوة إلى الضعف ، ومن الحياة إلى الموت .
- وتلك الأيام تداولها بين الناس . ولعلم الله الذين آمنوا . ويتخذونكم شهداء .. .
- لذلك نهى القرآن عن الغافلين غفلتهم عن هذه الحقيقة وسلخهم بهذه الغفلة عن إنسانيتهم الرفيعة .
- ولقد ذرأتنا بجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يصررون بها ، ولم يذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون . .

- لذلك كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يكثر من هذا الدعاء الذي يقول فيه : اللهم لا تدعنا في غمرة ، ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين .

• وكانت وصيته إلى سيدنا عمر «رضي الله عنه» قبل أن يودع هذه الدنيا : «... إني مستخلفك من بعدي وموصيك بخواص الله . إن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ... إلى أن قال :

إذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت
وهو آتيك .

وأن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ..
ولست بمعجز الله ..

من يعش يكبر ومن يكبر يمت
والمنايا لا تبالي من أنت
نحن في دار بلاء وأذى
وشقاء وعناء وعنة
منزل ما يثبت المرء به
سالما إلا قليلاً أن ثبت

• لذلك كان الإهتمام بالزمن والوقت في رأس الوصايا والأوامر التي
نبه نبينا إليها ، ودعا أمته إلى الالتزام والأخذ بها .

يقول رسول الله ﷺ :

ابن آدم :

• اغتنم خمساً قبل خمس :

شبابك قبل هرمك
وصحنوك قبل سقمك
وفراغك قبل شغلك
وحباتك قبل موتك
وغناك قبل فدرك

• ويقول **عليه السلام** :

حاسبوا (أنفسكم) قبل أن تخاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ..

وقال عليه الصلاة والسلام :

• الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحق من اتبع هواه وتنى على الله المغفرة .

• وقال **عليه السلام** :

إعمال لدنياك بقدر مقامك فيها ، وأعمال لآخرتك بقدر بقائك فيها ، واعمل لله بقدر حاجتك إليه ، واعمل للنار بقدر صبرك عليها .

وقال أيضا :

• لا تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربع :
عن عمره فيما أفاءه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أمن
اكتسبه وفيه أفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه .

• قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

أيها الناس : إنكم لم تخلقوه عبثا . ولم تتركوا سدى . وإن
لهم معادا يحكم الله بينكم فيه .

فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ومن جنة عرضها السموات والأرض.

وأعلموا أن الأمان غدا .. لمن خاف اليوم ، وباع قليلا بكثير
وفانيا بياق . ثم انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله . قد
قضى نحبه وبلغ أجله . ثم تغيبون في شق من الأرض .. قد خلع
الأسباب .. وفارق الأحباب .. وواجه الحساب .. غنيا عما ترك
ففريا إلى ما قلم ،

أما وأيم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد
متكلم من الذنوب أكثر مما عندي .
وأستغفر الله لي ولكلم .

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
لو كان للمرء فكر في عواقبه
وكيف يدرك مافي الغيب من حدى
دهر يفر وأمال تسر وأع
يسعى الفتى لأمور قد تضر به
يا أيها السادر المزور من صلف
دع ماريوب وخذ فيما خلقت له
إن الحياة ثوب سوف تخليعه
وكل ثوب إذا مارث ينخلع
لما شان أخلاقه حرص ولا طمع
من لم ينزل بغرور العيش ينخدع
مار غر وأيام لها خدع
وليس يعلم ما يأتي وما يدعي
مهلا فائق بال أيام منخدع
لعل قلبك بالآيمان يتفع
وكل ثوب إذا مارث ينخلع

والوفاء بالوعد من شرائع الإسلام ومن واجبات المسلم الحديرة
بالاحترام والالتزام .. عن عبد الله بن أبي الحمساء قال :

١) بایعث النبی ﷺ بیع قبل أَن ییعث ، وبقیت له بقیة^(١) ،
فوعدته أَن آتیه بها في مکانه ، فنسیت ، ثم ذکرت بعد ثلث^(٢)
فجشت ، فإذا هو في مکانه فقال ﷺ :

(يا فتی : لقد شفقت على أنا ها هنا منذ ثلث أنتظرك^(٣)) .

والوفاء من الصفات الطيبة التي تجعل الوف موضع الثقة وتکسبه
النجاح والظفر .

وهو من الصفات التي يفخر بها المتمدنون ، ويعلوونه من أسباب
رق المجتمع وتقدمه .

والإسلام يوجه ويفرضه ، فإذا وعد أحد وعداً وأخلفه دون أَن
يكون له عذر فهو آثم ، ومتصرف بصفة من صفات النفاق .

ولما حضر عبد الله بن عمر الوفاة قال :

إنه خطب إلى ابنتي ، رجل من قريش ، وقد كان مني إليه شبه
الوعد قوله لا ألقى الله بثلاث النفاق . أشهدكم أَن قد زوجته ابنتي .

وهو يشير بذلك إلى قول رسول الله ﷺ :

(ثلاثة من كن فيه . فهو منافق ، وإن صام وصلى ، وزعم أنه

(١) بقیة من ثمن البيع .

(٢) أَي ثلث لیال : أَي أَن انتظره ثلاثة لیال وفاء بالوعد الذي وعده .

مسلم . من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن
خان) .

أما عن النظافة ، واهتمام الإسلام بها ، ودعوته إليها فهذا كله من
البيهيات والفترائض التي أصبحت معلومة من الدين بالضرورة ..
ليس هناك دين يلزم اتباعه بالطهارة والنظافة كدين الإسلام .
فالطهارة . طهارة الجسم وطهارة الثوب ، وطهارة القلب ،
وطهارة المكان شرط من شروط صحة الصلاة .

وقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ : أن
« الطهور شطر الإيمان » ولذلك أن تتصور أيتها الأخـت .. ماذا
تحلـبـ الـقـنـارـةـ عـلـىـ الـمـسـلـمـ حـيـثـ تـذـهـبـ يـنـصـفـ دـيـنـهـ وـتـبـطـلـ بـهـ
عـبـادـتـهـ ، وـتـجـعـلـ سـعـيـهـ وـعـمـلـهـ هـبـاءـ لـأـفـاتـدـةـ مـنـهـ فـيـ دـيـنـ وـلـاـ دـنـيـاـ ،
وـسـوـفـ تـجـدـيـنـ هـنـاـ الشـرـطـ « شـرـطـ الـالـتـزـامـ بـالـنـظـافـةـ » قـانـونـاـ عـامـاـ فـيـ
حـيـاةـ الـمـسـلـمـ كـلـهـاـ . وـفـيـ كـلـ مـظـاهـرـ هـذـهـ الـحـيـاةـ جـمـيعـاـ فـيـ الـبـيـتـ أـوـ فـيـ
الـمـسـجـدـ ، فـالطـرـيقـ الـعـامـ أـوـ فـيـ الـمـكـبـ ، وـفـيـ سـلـوكـهـ الـخـاصـ كـفـرـدـ
أـوـ فـيـ تـصـرـفـهـ الـعـامـ كـعـضـوـ فـيـ الـأـسـرـةـ وـالـأـمـةـ وـالـجـمـعـ.

فقد أوجـبـ الإـسـلـامـ النـظـافـةـ مـنـ الطـعـامـ ، بـعـدـ أـنـ نـدـبـ إـلـىـ الـوضـوءـ
لـهـ — وـيـكـفـيـ فـيـ غـسلـ الـأـيـدـيـ — أـمـرـ بـأـنـ يـتـخلـصـ إـلـاـنـسـانـ مـنـ
فـضـلـاتـهـ وـرـوـاثـةـ وـأـثـارـهـ ، وـهـذـاـ أـنـقـىـ لـلـمـرـءـ وـأـطـيـبـ .

روى عن رسول الله ﷺ : « بـرـكـةـ الطـعـامـ الـوضـوءـ قـبـلـهـ »

والوضوء بعده^(١) .

وهذه النظافة المطلوبة ينثاوت الحث عليها بإختلاف بقایا الطعام المتخلفة على البدن . فإذا تسررت هذه البقايا في الأماكن المواربة كان حقاً على المسلم أن يطهير منها .

قال رسول الله ﷺ : « تخللوا . فإنه نظافة تدعوا إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة^(٢) » .

وقد اقتربت نظافة الوضوء ونظافة الطعام في هدى النبي ﷺ . فعن أبي أيوب قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فقال : « جبذا المتخلفون من أمتي . قالوا : وما المتخلفون يا رسول الله ؟ قال : المتخلفون في الوضوء ، والمتخلفون من الطعام . أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع .

وأما تخليل الأسنان فمن الطعام « إنه ليس شيء أشد على الملائكة من أن يرها بين أسنان صاحبها طعاماً وهو قائم يصل^(٣) » .

وعناية الدين بتطهير الفم ، وتجليية الأسنان ، وتنقية ما ينبع لا نظير لها في وصايا الصحة القديمة ، والحديثة .

قال رسول الله ﷺ : « تسوكوا ، فإن السواك مطهرة للقم مرضاً للرب ، ما جاءنى جبريل إلا أوصاني بالسواك ، حتى لقد

(١) أبو داود . (٢) أحمد .

نقلًا من كتاب خلق المسلم .

(٣) الطبراني .

خشيت أن يفرض على وعلى أمتي^(١) .

وفي رواية : « لقد أمرت بالسوالك حتى ظلت أنة ينزل على فيه
قرآن أو وحي » .

والأطعمة ذات الروائح النفاذة كاللحم والسمك وغيرها يجب أن
يشتد حشر الإنسان من إهمالها ، فإن التنظيف منها ضرورة لحفظ
الصحة ، وضرورة لحفظ الكرامة الخاصة ، والأدب العامة .

قال رسول الله ﷺ : « من بات وفي بيته ريح غمر فأصابه شيء
فلا يلومن إلا نفسه^(٢) ، والغمر زهوة اللحم .

وقد وردت آثار تفيد أن الجراثيم إنما تجد مرتعها الخصب في
الأيدي والأفواه القدرة ، وأوصت بالتحرز من غوايelaها .

ومن احترام الإسلام للفرد والمجتمع تحريه على من أكل ثوما أو
بصلأ أو فجلا أن يحضر المجتمعات ، ذاك أن نتن الأفواه من هذه
الأطعمة يؤذى المخاطبين وينفر من أكلها .

وقد أسقط الإسلام سنة الجمعة في المسجد عنمن تناول هذه
المواد ، كما أسقط سنة الجمعة عن الذين أصيروا بعلل تحمل روالع
فهم أو جسمهم كريهة ، وهذا الأدب الكريم صيانة محمودة
للمرضى والآصحاء .

★★★

(١) ابن ماجه .

(٢) البراز .

ويوصي الإسلام بأن يكون المرء حسن المنظر كريم الهيئة ، وقد ألحق هذا الخلق بآداب الصلة :

﴿ يَا بْنَ آدَمَ خُذْنَا زِيَّتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾^(١) .

وكان رسول الله ﷺ يعلم المسلمين أن يعنوا بهذه الأمور ، وأن يتزموها في شؤونهم الخاصة حتى يبلو المسلم في سنته وملبسه وهبته جيلاً مقولاً .

قال رسول الله ﷺ : « من كان له شعر فليكرمه^(٢) » .

وعن أبي قتادة قلت : يا رسول الله .. إن لي جمة أفارجلها ؟
قال : « نعم وأكرمنها .. » فكان أبو قتادة ربما دهنتها في اليوم مرتين ،
من أجل قول رسول الله ﷺ^(٣) . فسرع بخراج الرأس سنة حسنة وتعظمه
كذلك .

وعن عطاء بن يسار قال : أتى رجل النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه الرسول ، كأنه يأمره باصلاح شعره ، ففعل ثم رجع ، فقال رسول الله : « أليس هذا خيراً من أن يأني أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان^(٤) » .

وعن جابر بن عبد الله : « رأى النبي ﷺ رجلاً رأسه شعر ف قال : « أما وجد هذا ما يسكن به شعره^(٥) » ورأى آخر عليه ثياب

(١) الأعراف : ٣١ .

(٢) أبو داود .

(٣) السلفي .

(٤) مالك .

(٥) أبو داود .

وسخة ، فقال :

« أما يجد هذا ما يفضل به ثوبه ؟ »

أن الأناقة في غير سرف ، والتجمل في غير صناعة وتنزويق ، وإحسان « الشكل » بعد إحسان « الموضوع » من تعاليم الإسلام ، الذي ينشد لبنيه علو المزيلة وجمال الهيئة .

قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة كبير ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، فقال : إن الله تعالى جليل يحب الجمال »^(١) .

وفي رواية أن رجلاً جميلاً أتى النبي ﷺ فقال : ألم أحب الجمال ، وقد أعطيت منه ما ترى . حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل ، أفن الكير ذلك يا رسول الله ؟ قال : « لا .. ولكن الكبير بطر الحق وغمط الناس » .

وكان رسول الله ﷺ دقيق الملاحظة في هذه الناحية فإذا رأى مسلماً يحمل تجميل نفسه وتسيق هيته نهاده عن الاسترسال في هذا التبذر وأمره بأن يرتدى ألبسة أفضل .

عن جابر بن عبد الله : « نظر رسول الله ﷺ إلى صاحب لباس يرعى ظهراً لنا .. وعليه بردان قد أخلقا . فقال رسول الله ﷺ : أما له غير هذين ؟ فقلت : بلى ، له ثوبان : فقال : أدعه فليلبسهما . فلبسهما : فلما ولّ قال رسول الله : ماله ؟ — ضرب الله عنقه —

(١) مسلم .

أليس هذا خيرا ؟ فسمعه الرجل ، فقال : في سهل الله يا رسول الله .. فقال : في سهل الله .. فقتل الرجل في سهل الله^(١) .

وبعض مخترق التدين يحسبون فوضى الملبس واتساحه ضربا من العبادة ، وربما تعمدوا ارتداء المركعات والتزئيب بالثياب انهملة ليظهرروا زهدهم في الدنيا وحبيتهم للأخرى . وهذا من الجهل الفاضح بالدين ، والافتراء على تعاليمه .

حدثنا ابن عباس قال : « لما خرجت الحرورية أتيت عليا رضي الله عنه فقال : أنت هؤلاء القوم : فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، فلقيتهم فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس . ما هذه الحلة .. ؟ قلت : ما تعيبون على .. لقد رأيت على رسول الله عليه السلام أحسن ما يكون من الحلل^(٢) .

وعن البراء : كان رسول الله عليه السلام مربوعا : وقد رأيته في حلة حراء ما رأيت شيئاً أحسن منه قط^(٣) .

وقد أثبتت هنا التطهير والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوthem وطرقهم فإن الإسلام نبه إلى تخليه البيوت من الفضلات والقمامات . حتى لا تكون مباعة للحشرات . ومصدرا للعمل : وكان اليهود يفرطون في هذا الواجب فحذر المسلمين من التشبه بهم .

(١) مالك .

(٢) أبو دادود .

(٣) سلم .

روى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أنفاسكم ولا تسيروا باليموج »^(١) .

واماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان : وقد اعتبر هذا العمل الخفيف الجليل صلاة مرة ، وصدقة مرة أخرى .

فقى الحديث : حملك عن الضعيف صلاة . وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة^(٢) .

وفي حديث آخر : « ... بكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة ، ويفيظ الأذى عن الطريق صدقة »^(٣) .

أى إزالة الأذى من حجر أو شوك أو نجاسة أو ما شابه ذلك .
وإذا كان القرآن يأمرنا أن نأخذ بالزينة عند كل مسجد فإن المسلمين عمموا هذا الحكم في كل مكان غير المسجد لأن الأرض كلها من وجهة نظر الإسلام « مسجد » وطهارتها أو تطهيرها مظهر من مظاهر الاحترام والتقدير لكل مسجد ولم تكن الحضارة الإسلامية في جمالها ورونقها إلا تطبيقاً لهذا القانون والمبدأ .. مثلاً ..

« ... كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة الأندلس^(٤) المسلمة ، تنار بالمصابيح ليلاً ويستضيء الماشي بسرجها

(١) الترمذى .

(٢) ابن عزيمة .

(٣) البخارى .

(٤) خلا من كتاب « من رواي حضارتنا » للرسوم الدكتور الشيخ مصطفى الباعي ص ١٨٦ وما بعدها .

عشرة أميال لا ينقطع عنه الضوء (أى ستة عشر كيلو متراً) ، أزقتها مبلطة ، وقعاماتها مرفوعة من الشوارع ، محاطة بالمدائق الخاء حتى كان القادم إليها يتزهـ ساعات في الرياض والبساتين قبل أن يصل إليها ، كان سكانها أكثر من مليون نسمة (في ذلك العصر لم تكن فيه أكبر مدينة في أوروبا تزيد عن خمسة وعشرين ألفاً) وكانت حماماتها تسعـة هام ويوتها ٢٨٣٠٠٠ بيت وقصورها ثمانون ألف قصر ومساجدها ستـه مسجد ، وكانت استدارتها ثمانية فراسخ (أى ثلاثين ألف ذارع) . كان كل من فيها متعلماً ، وكان في ربعها الشرق مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا في ناحية واحدة من نواحيها ، وكان فيها ٨٠ مدرسة يتعلم فيها القراء عجاناً ومحسون مستشفى . وأما مسجدها فكان ولا تزال آثاره حتى اليوم آية خالدة في الفن والإبداع . كان ارتفاع مئذنته أربعين ذراعاً تقوم قبته الميفاء على روافد من الخشب الخفهـ ، وتتدلى إلى ١٠٩٣ من الأعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطريـج فتألف منها تسعـة عشر صحنـا طولاً وثانية وثلاثون صحنـا عرضاً ، وكان يضاء في الليل بأربعة آلاف وسبعمائة مصباح تستند في كل ستة ٢٤ ألف رطل من الزيت ، وترى في وجهـ الجنـى تسعـة عشر بابـاً مصفحاً بصفائح برونزية عجيبة الصنع خلا الباب الوسط الذي كان مصفحاً بألواح من الذهب ، وترى في كل من وجهـ الشرق والغرب تسعـة أبواب مشابهة لتلك الأبواب ، أما محرابـ فحسبـك أن يقول فيه مؤرخـو الفرجـ « أنه أجمل ما تقع عليه عينـ بـشرـ وإنـه لا يرى أحـسنـ من زخرفـهـ وـمنـاهـ فيـ أـىـ أـثـرـ قـديـمـ أوـ حـدـيثـ » .

ولتحول بعد ذلك إلى العالم الإسلامي الشرقي لترى نموذجاً من مدنه الكبرى وحضاراته الرائعة . وسأقصر هنا على بغداد وكيف كانت حين بنيت من عجائب الدنيا التي لا مثيل لها في القديم .

كانت بغداد قبل أن يبنها المنصور الخليفة العباسي الشهير ضيعة صغيرة يجتمع فيها على رأس كل سنة التجار من الأماكن القرية منها ، فلما عزم المنصور على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين ثم وضع بيده أول آجرة في بناها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال ابناوا على بركة الله ، وقد بلغ مجموع ما أتفق على بناها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم وبلغ عدد العمال المشغلين فيها مائة ألف ، وكان لها ثلاثة أسوار على الواحد منها الآخر . بلغ عدد سكانها مليوني نسمة ، وبلغت عدد دروبها وسُكُوكها ستة آلاف بالجانب الشرقي وأربعة آلاف بالجانب الغربي ، وكان فيها عدا دجلة والفرات أحد عشر نهرًا فرعياً تدخل مياهها إلى جميع بيوت بغداد وقصورها وكان في نهر دجلة وحده من المعديات (المعبرانيات) ثلاثون ألفاً ، أما حماماتها فقد بلغت ستين ألف حمام ، وفي أواخر عهد العباسيين تناقص هذا العدد إلى بضعة ألف حمام ، وأما مساجدها فقد بلغت ثلاثة ألف مسجد ، وأما سكانها وكتلة العلماء والأدباء وال فلاسفة فذلك فيها ما لا يحيط به حصر^(١) .



(١) من روائع حضاراتنا

ولتصبح لـ أختنا المسلمة أن تنتقل بها إلى الشرق الأقصى .. إلى الهند لنرى ما فعله الإسلام والمسلمون في هذه الهند ..

يقول العلامة أبو الحسن الندوى في كتابه « المسلمين في الهند » (١) .

« ... لقد اكتبـتـ الهندـ منـ المـسـلمـينـ بـصـفـةـ عـامـةـ توـسـعـاـ فـيـ الـخـيـالـ وـجـدـةـ فـيـ التـفـكـيرـ ،ـ وـمـعـافـيـ جـديـدـةـ فـيـ الـأـدـبـ وـالـشـعـرـ ،ـ لـمـ تـكـنـ تـخـطـرـ عـلـىـ بـالـ لـوـلـاـ عـمـلـيـةـ التـوـلـيدـ الـعـقـلـ وـالـتـلـقـيـ الـفـكـرـيـ وـالـأـدـيـ ،ـ وـكـانـ هـمـ مـنـعـ الـمـسـلمـونـ هـنـدـ هـذـهـ الـلـغـةـ الـجـمـيـلـةـ الـوـاسـعـةـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ لـنـةـ الـفـاهـمـ وـلـغـةـ الـعـلـمـ فـيـ هـنـدـ الـتـيـ عـرـفـتـ بـكـثـرـةـ الـلـغـاتـ وـالـلـهـجـاتـ ،ـ أـعـنـىـ لـغـةـ أـرـدـوـ .ـ »

وـكـانـ تـأـثـيرـ الـمـسـلمـينـ فـيـ الـمـدـنـيـةـ وـالـصـنـاعـةـ وـأـسـالـيـبـ الـحـيـاـةـ أـبـرـزـ وـأـقـوىـ مـنـهـ فـيـ نـوـاـحـ أـخـرـىـ ،ـ فـقـدـ أـدـخـلـوـاـ فـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ حـيـاـةـ جـديـدـةـ تـخـتـلـفـ عـنـ الـحـيـاـةـ الـقـدـيـمـةـ فـيـ هـذـاـ القـطـرـ ،ـ كـمـ تـخـتـلـفـ الـحـيـاـةـ فـيـ أـورـبـاـ الـيـوـمـ عـنـ الـحـيـاـةـ فـيـ الـقـرـوـنـ الـوـسـطـىـ .ـ

وـإـذـ أـرـدـنـاـ أـنـ نـعـرـفـ مـاـ أـضـافـهـ الـمـسـلمـونـ إـلـىـ ثـرـوـةـ هـنـدـ الـبـلـادـ وـمـدـنـيـتـهـ يـجـبـ عـلـيـاـ أـنـ نـسـتـعـرـضـ الـهـنـدـ وـثـرـوـتـهـ وـمـدـنـيـتـهـ وـحـاـصـلـاتـهـ وـمـرـافـقـهـ وـمـسـتـوـىـ الـعـيـشـةـ فـيـاـ قـبـلـ أـنـ يـتـسـكـنـ الـمـسـلمـونـ مـنـ بـنـاءـ مـدـنـيـةـ جـديـدـةـ وـإـقـامـةـ حـضـارـةـ هـنـدـيـةـ إـسـلـامـيـةـ وـإـتـحـافـ هـذـهـ الـبـلـادـ بـمـاـ عـرـفـوـهـ وـأـلـفـوـهـ مـنـ مـرـافـقـ الـحـيـاـةـ وـرـقـائـقـ الـمـدـنـيـةـ ،ـ وـقـدـ تـرـكـ لـنـاـ مـؤـسـسـ الـدـوـلـةـ الـمـغـوـلـيـةـ الـعـظـيـيـ مـظـهـرـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بـاـيـرـ (ـ ٩٣٩ـ -ـ ٨٨٨ـ)ـ صـورـةـ

(١) صـفـحةـ ١٨ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .ـ

واضحة عن مدينة الهند وثروتها الطبيعية والصناعية والمستوى الذي كانت عليه هذه البلاد عند غزوها لها ، ولا يخفى أن البد الإسلامية الصناع الحاذقة ظلت تشتعل مدة قبل المجوم المغولي ، يقول باير في مذكرةاته^(١) :

« لا وجود للخيل العتاق ، ولا يوجد من الفاكهة العنب والبطيخ والأثار الطيبة ، الثلج مفقود ، والماء البارد قليل نادر ، والحمام لا يوجد ، والمدارس لا يعرفها أهل الهند ، والمشكلات ، والشمعون لا وجود لها ، وكذلك الفوانيس ، ويستعملون مكانها خشبة ذات ثلاثة ارجل تحمل إحدى أرجلها حديقة مركبة بها ، وفي الرجل الثانية فتيلة ضعيفة ، وفي يدها يعني قرع (دباء) له ثقب صغير ينزل منه الزيت على الفتيلة ، وبهذه المشكاة الواسعة يستعين الملوك والأمراء عند الحاجة في الليل .

أما الحدائق والأبنية فلا توجد فيها عيون متقدمة ومياه جارية ولا تتمتع هذه الأبنية بالنظافة والهواء والتناسب ، كانت الهند رغم خصباً وغناها ، قليلة الفواكه والثمار وأكثرها برية لم تلق العناية الالزامية حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع وأبناء بلاد كثيرة الفواكه والأثار ، فأدخلوا عليها ثماراً جديدة وفواكه كثيرة يعرفها المستقصى من كتاب « توزك بايرى » و « توزك جهانكيرى » وقاموا بعملية التلقيح والتهديب لبعض الثمار الهندية حتى جاء أشهى وأنذر

(١) كتبها باير في اللغة التركية في أسلوب أدلى رفع ونقلها إلى الفارسية الأديب التركي والناعر الكبير فالد قواد الدولة المغولية الأمير عبد الرحيم يوم خان ، وطبعت في بيروت في مجلد (الهند) .

وألطف كما كان الثانٌ مع « المانجو » أشهر فواكه الهند وألذها وأفضلها فلم يكن يوجد منه إلا ما يثبت بالبذر فلتحوه حتى جاء ما يسمونه في الهند « قلى » وكان منه أنواع في العهد الأخير ، لعلها تزيد على مائة نوع .

كذلك كان انتاجهم عظيماً في صناعة القماش والمنسوجات وقد كان أغلب لباس أهل الهند الكرباس والقطن الشخين العادي والصوف الخام .

وقد أنشأ ملك كجرات السلطان محمود بن محمد الكجراتي المشهور باسم محمود يذكره (م ٩١٧) مصانع كثيرة للنسج واللوشي والتطريز والنحت ، ومصنوعات العاج والمنسوجات الحريرية ، وصناعة الورق ، وقد كان السلطان محمود هذا ملكاً عمرانياً كبيراً ، أحدث نشاطاً صناعياً وزراعياً وتجارياً منقطع النظير في تاريخ العصر يقول مؤرخ الهند العلامة السيد عبد الحفيظ الحسني في ترجمته في نزهة الخواطر :

« ومن مكارمه قيامه بعمير البلاد وتأسيس المساجد والمدارس والخوانق وتکثير الزراعة وغرس الأشجار المثمرة وإنشاء المدائق والبساتين وتخريض الناس على ذلك ، واعانتهم بمحفر الآبار واجراء العيون ، ولذلك أقبل عليه الناس إقبالاً كلياً ووقد عليه الباشون والمعماريون وأهل الحرف والصناع من بلاد العجم فقاموا بمحفهم وصناعتهم فصارت « كجرات » رياضاً مخضرة بكثرة الحياض والآبار والمدائق والزروع والفواكه الطيبة ، وصارت بلاد كجرات متجرة تحمل منها الثياب الرفيعة إلى بلاد أخرى ، وذلك كله لميل سلطانها

عمود شاه إلى ما يصلح به الملك والدولة ويترفه به رعاياه .^(١)

وكذلك فعل «أكير» وأنشأ معامل كبيرة للتبسيج ، وقد كانت لهم اصلاحات دقيقة عظيمة التأثير في تعين الضرائب على حسب الأرضي ومساحة العقارات والمزارع وتنظيمها وتشريعات مضبوطة ، وتنظيم المالية واصلاح نظام القواد ، لم يكن للحكومات الهندية السابقة عهد بها ، قد كان لشير شاه السوري الملك المقتن والأداري العبرى فضل التقدم والابتكار وتبصره «أكير» .

وكذلك كان للحكومات الإسلامية فضل في تربية الحيوانات واقتاتها وتربيتها نسلها وتربيتها أجسامها ، يظهر ذلك في مذكرات جهانكير ، «توزك جهنكمرى» وكتب التاريخ مثل «آتين أكيرى» أما تأسيس المستشفيات (المارستانات) ودور العجزة ، والحدائق العامة والمتزهات والترع الكبيرة والبرك العظيمة فقد كان من محاسن الدول الإسلامية التي لم تسبق إليها ، وفي كتاب «جنة المشرق» وهي (الثقافة الإسلامية) وهو خطط الهند» للعلامة عبد الحى الحسنى قائمة طويلة بأسماء المستشفيات والمؤسسات الخيرية والمشاريع المدنية التي نشأت في عصور الدول الإسلامية المختلفة .

وكذلك الشوارع الطويلة التي تجمع بين شرق الهند وغربها وتمتد على طول الهند وعرضها كانت من انشاء الملوك المسلمين ، اشهر منها الشارع الطويل الذى انشأه شير شاه السوري من سفار كاون أقصى

(١) مزحة الخواطر الجزء الرابع ، ترجمة السلطان عمود بن محمد الكجزي من ٣٤٥ .

بلاد بنغال (في باكستان الشرقية)^(١) إلى ماء نيلاب من أرض السندي (في باكستان الغربية)^(٢) مساحته اثنان وثلاثون وثمانمائة وأربعة آلاف (٤٨٣٢ كم) وأسس في كل ثلاثة كيلومترات رباطاً ورتب هناك مائتين مائة للمسلمين ومائة للهندوسيين، وأسس مسجداً على كل ثلاثة كيلومترات، ووظف مؤذناً ومقرضاً وأماماً في كل مسجد، وعين في كل رابط فرسين لبريد فكان يرفع إليه أخبار نيلاب إلى أقصى بلاد بنغال كل يوم، وغرس الأشجار المثمرة بجانبي الشارع ليستظل بها المسافر ويأكل منها.

وعلاوة على ذلك فقد كان مما أدخله المسلمون ونقلوه من الخارج إلى الهند النظافة الزائدة في كل شيء والنظافة في المأكل والمشرب والبناء والاجتماع، والاحتفاظ بأصول الصحة وتهوية البيوت وتزييرها والتالق في الأواني، فقد كان أهل الهند - ولا يزال كثير منهم - يأكلون على أوراق الشجر، خصوصاً في الولائم الكبيرة، وقد أحدث المسلمون انقلاباً عظيماً في المجتمع وفي الحياة المزرية وفي نظام تأثيث البيوت.

وكذلك أدخلوا هنا معمارياً جديداً يمتاز بالمتانة والدقة والرقة والجمال والتناسب والفصامة والتهوية والتزيير، ولا يزال «تاج محل» آية في الهندسة والبناء إلى اليوم ..

هكذا كان المسلمون يعيشون في القرون الوسطى ..
فكيف كان يعيش الناس - هذا الوقت - في أوروبا؟

(١) ببلاده حالياً.

(٢) باكستان حالياً.

جاء في التاريخ العام للافيس ورامبو ما يلى : كانت الجلترا الانجلوسكسونية في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر قديمة في أرضها منقطعة الصلات بغير بلادها ، سخنة وحشية ، تبني البيوت بحجر غير منحوت ، وتشيدها من تراب مدقوق ، وتجعلها في وطاء من الأرض ، مساكن ضيقه المنافذ ، غير حكمة الاغلاق ، واصطبلات وحظائر لا نوافذ لها ، تعرض الأمراض والأوبئة المتكررة المواشي والسائلة وهي المورد الوحيد في البلاد ، ولم يكن الناس أحسن مسكن وأمنا من الحيوانات ، يعيش رئيس القبيلة في كوخه مع أسرته وخدمه ومن اتصل به ، يجتمعون في قاعة كبيرة في وسطها كانون ينبعث دخانه من ثقب فتح في السقف فتحا غليظا ، ويأكلون كلهم على خوان واحد ، مجلس السيد وقربيه في أحد أطراف المائدة ، ولم تكن الشوكات معروفة ، وللأقداح حروف من أسفلها ، فكان على كل مدعو أن يمسك بيده قدحه ، أو يفرغه في فيه دفعة واحدة وينتقل السيد إلى غرفته في المساء بعد أن يتناولوا الطعام ويعربلوها على الشراب ، ثم ترفع المنضدة والصنالات ، ويتناول الجميع في تلك القاعة على الأرض أو على دكك ، واضعا كل فرد سلاحه فوق رأسه ، لأن اللصوص كانوا من المرأة بحيث يقاضى على الناس أن يقفوا لهم بالمرصاد كل حين لولا يؤخذوا على غرة .

وكانت أوروبا في ذلك العهد خاصة بالغابات الكثيفة ، متأخرة في زراعتها ، وتبعثر من المستعمرات الكثيرة في أراضي المدن رواحة ثلاثة ، تجتاح الناس وتحصدتهم . وكانت البيوت في باريس ولندن تبني من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب (كيوبت القرى

عندنا منذ نصف قرن) ولم يكن فيها منافذ ولا غرف مدققة ، وكانت البسط بجهولة عندهم ، لا يساط لهم غير القش ينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون النظافة ، ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام يوتيهم ، فتصاصعد منها رواحة مزعجة ، وكانت الأسرة الواحدة تام في حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال ، وكثيراً ما كانوا يؤدون معهم الحيوانات الناجنة ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف ، يجعل مخددة أو وسادة ، ولم يكن للشارع مجار ولا بلاط ولا مصايف ، ولم تكن أكبر مدينة في أوروبا تضم أكثر من خمسة وعشرين ألفاً .

هكذا كان الغرب في القرون الوسطى حتى القرن الحادى عشر فما بعده ، باعتراف مؤرخهم أنفسهم^(١) .

هذا كتب الملك جورج الثاني ملك إنجلترا رساله إلى الخليفة هشام الثالث قدم بها بعثة من الطالبات الانجليزيات ، وجعل ابنة أخيه الأميرة « دوبانت » أميرة عليها . وهذا نص الرسالة ..

من جورج الثاني ملك إنجلترا ، والحال « فرنسا » والسويد والترويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام :

بعد التعليم والتوقير : فقد سمعنا عن الرق العظيم الذي تتمتع بفضله الصاف معاهد العلم والصناعات في بلادكم العاملة ، فأردنا

(١) نقلًا عن كتاب من دوّالع حضاراتنا .

لأننا اقتباس غاذج من هذه الفضائل تكون بداية حسنة في افتتاح أثر
منه لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أو كأنها
الأربعة ، وقد وضعنا ابنه شقيقنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة
من بنات أشراف إنجلترا لشرف بلئم أهداب العرش والتماس العطف
لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ،
وهي من لون اللواقي سيتوفرن على تعليمهن ، وقد زودت الأميرة
الصغيرة بهدية متواضعة لقامتكم الكريم ، أرجو التفضل بقبولها مع
التعظيم ، والحب الخالص .

من خادمكم المطيع
جورج الثاني

وأقرّى معي هذا الرد الذي بعث به الخليفة هشام إلى ملك إنجلترا
وابحثى معي عن « العلة » أو « السبب » الذي انتهى بال المسلمين إلى
منحدر التخلف والردي .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف آياته سيد
المسلمين .. وبعد : فالي ملك إنجلترا ويفوسيا « واستلبيانا فيه » ،
الأجل .

لقد أطلعت على التفاصيل قوافقت بعد استشارة من يعينهم الأمر
علي طلبكم . وعليه فإننا نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت
مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي .

أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد ، وبالمقابلة أبعث إليكم بغالى لطنافس والسجاد الأندرسية ، وهى من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المجرى الكافى للتدليل على التفاتنا ومحبتنا . والسلام .

خليفة رسول الله
على ديار الأندرس
هشام

هل تصدقين أيتها الأخت (أ - ح) أن بريطانيا عرضت نفسها على الإسلام؟

لقد نشر المؤرخ البريطاني جابرييل روني JABRIEL RONAY الوثيقة التاريخية لهذه الحادثة التي تحملت في عهد الملك جون لاكلاند JOHN LACKLAND يقول هذا المؤرخ في وثيقته التي نشرتها جريدة الصنداي تايمز THE SUNDAY TIME ما نصه بالحرف

في عام ١٢١٣ ، وبحركة يائسة من الملك جون لاكلاند أرسل وفدا سريا من ثلاثة أشخاص ، إلى الأمير محمد الناصر ، الحاكم المغرى القوى ، ليعرض له ولاده وليعده بأنه سيكون أى الملك جون لاكلاند تابعا مخلصا ، فيما إذا قبل الأمير أن تكون بريطانيا تحت الرعاية المغربية ، وليركذ له أن الدخول في الإسلام هو المخرج من ضغط المشاكل السياسية التي تلع عليه .

لقد وقع بالصدفة بين يدي ، النص المحرق لما حل له الوفد ، في دورية قدية ، كانت تصدر في ذلك الوقت عن أحد الأديرة ، عندما ، كنت أجري أبحاثا على الكاهن الكاثوليكي روبرت دي لندن ، الذي كان صدر بحقه حرمان كنسى ، ونفى من بريطانيا ، بسبب دوره في ثورة الماغنار كاتا .

هذه الحلقة الواقعية المنسية ، من التاريخ البريطاني ، سجلها ماتيو باري ، المؤرخ الأخبارى الدقيق لأحداث القرن الثالث عشر ، الذى أخذ حقائقه واستقاها من مصادرها .

وحسب ما يقول « باريس » أن رجال الوفد الثلاثة كانوا مكونين من البارونين توماس هاردنجتون ورالف فيتزستوكلاس ، والسيد روبرت دي لندن غير أن باريس لم يقدم أى تفسير لضم الكاهن اللندنى للوفد ، إلا أن السبب الأكثر ترجحا ، هو أن الملك جون لاكلاند ، عهد إلى السيد روبرت بإدارة شؤون أبرشيته الخاصة ، ولذلك فهو من المقربين والموثوقين ، وبالتالي فإن اشتراكه في الوفد يشكل ضمانا ضد البارونين كى لا يمارسوا عليه خداعا في أثناء تأدية المهمة .

وكان توماس هاردنجتون ، رئيس الوفد كان قد أعطى تعليمات من قبل الملك ليبلغها إلى أمين أفريقيا العظيم وأمير المغرب وأسبانيا ، بأنه — أى الملك البريطاني سيتازل عن طواعيه وطبيب خاطر ، عن مكانته وملكته ، ويصبح تحت تصرف الأمير العظيم . وإذا كان يسره

فإنه يضع بريطانياً أمانه بين يديه ، ويتخلى عن الاعتقاد بالديانة المسيحية ، وينمسك ويلتزم بكل اخلاص بدين وعقيدة محمد .

ونقلت رسالة الملك جون أو تعليماته إلى الأمير بواسطة مترجم ، حيث تكلم رئيس الوفد بمهارة خطابية هائلة عن غنى الأرض الانجليزية .

وخصوصية حقوقها ومهارة شعبها العظيم الحاذق ، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث : اللاتينية والفرنسية والإنجليزية واتقانهم لكل مهنة عقلانية .

وكان رد الأمير المغربي المسلم رداً حصيناً جاء فيه :

« لم أقلأ أو أسمع فقط أن ملكاً يمتلك مثل هذه البلاد المزدهرة الخاضعة المطيبة له عن طوعية ، يقوم بتدمر سيادته واستقلاله يجعل بلده الحر يدفع الجزية لغريب . علماً أنها يجب أن تكون ملكه ولو وجده وبتحويل السعادة إلى بؤس ، فيسلم نفسه لإرادة آخر ، ويهزم بلده دون سبب ». وطلب الأمير من أعضاء الوفد ألا يمثلوا في حضرته ثانية ولدى عودتهم إلى بريطانيا « يكفي الملك جون لأن مسامعي قد أحبطت ». وربما اعتقاد أن باروناته قد خدعوه وخانوه . لكنه وضع الكاهن اللندني مسؤولاً عن جميع شؤون دير القديس البازن كمكافأة له . غير أن مسؤولياته عن هذا الدير أنتهت ، لأن الرهبان رشوا الملك لازاحته بسبعينات من الماركات الفضية .

رأيت كيف كان المسلمون زينة الحياة الدنيا ؟ ومتى ؟ في القرون الوسطى حين كان الأوروبيون يعيشون هذه المرحلة في بيوت طيبة أشبه بالسراديب والكهوف في غابات أفريقيا ..؟ فكيف مالت كفة الميزان الحضاري ليصبح المسلمون هم الأقل شأنًا والأكثر هواناً وتخلقاً ..؟

لقد حدث ذلك حين تركنا ديننا ، كما حدث ذلك حين تخلينا عن القيم الرفيعة التي جاءت بها عقيدتنا وحضارتنا ..

لقد جئت من الريف إلى القاهرة منذ حوالي خمسة وأربعين عاماً .. أتذرين كيف كانت القاهرة في هذه الفترة ؟

كانت أجمل المدن في آسيا وأفريقيا .. وكانوا يسمونها — بحق — «أم الدنيا » لم تكن القاهرة كما تريدها الآن ضجيجاً وغوضى .. كانت الأرضية نافذة ليلاً ، والشوارع تغسل وتتنفس صباحاً ومساءً ، وكانت الحدائق .. بل كان النيل يشق طريقه في وسطها فنحوراً مزهواً .. وكانت متعة أن يسمو فيها الإنسان ليلاً أو نهاراً ..

لم يكن هناك فارق في النظافة بين الأحياء الرئيسية في قلب المدينة ، وبين الأحياء الشعبية في القاهرة القديمة . بل أني كنت أفضل الحياة في هذه الأحياء التي كان يفوح عبق البخور والطيب ، والتاريخ في شوارعها وأزقتها الضيقة .

ولازلت حتى يومنا هذا حريصاً على هذه العادة التي تذكرني بأجمل أيام العمر ، وتذكرني تلك السنوات التي كانت القاهرة فيها قرة عين الناظرين للعرب والمسلمين من كل بلد وقطر ..

أما الآن فقد مسخت القاهرة الجميلة .. فقدت روح الجمال والبهاء والعاطفة .. وأصبحت القذارة سمة من سمات الحياة في مديتها الحالدة .. أدخلت أي مكان .. أذهلت إلى عيادات مشاهير الأطباء التي تقع في أرق الأحياء ... سوف تفاجئين بصورة تناهى مع أبسط قواعد الذوق واللباقة ، والطهارة والنظافة ... ثم انظرت إلى البيوت من الخارج .. شيء مقرز يؤذى البصر والبصرة .

حتى المساجد .. لم تسلم من هذه الظاهرة التي يتناهى وجودها مع وجود المسجد ورسالته أصلا ...

هل تصدقين أن أول ما تقع عليه عيناي كل يوم في ميدان الأزهر - عربة قصامة يجرها حماران في غابة المزال والقذارة ، والأدهى وأمر .. أنتى قبل أن تدخل مبنى الادارة تعطردن جيوش البعض والذباب التي تنطلق من القاذورات والخلفات التي تخيط بهذا المبني ...

لقد تكلمت كثيرا مع مسئولين كبار حول هذه الجريمة ... وبع صوق ولما يزلي يصرخ حتى هذه اللحظة .. وأذكر منذ سنوات حين زارتني مستشرقة أمريكية اسمها JANE SMITH .. لقد هاجرت جيوش الذباب بضراوة . وحين همت بالاعتذار إليها عن هذه الغارة .. قالت مبتسمة :

أعرف ما ت يريد أن تقوله ... إن دينكم هو دين النظافة ، ولكن الواقع مختلف تماما عن هذه الحقيقة ...

لقد ذهبت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تشكو زوجها وحين وقفا بين يديه قالت المرأة :
— يا أمير المؤمنين . هنا زوجي وابن عمى وأنا لا أريده ففرق بيني وبينه .. فقال الزوج :

هذه زوجتى يا أمير المؤمنين ولم يمض على زواجنا أكثر من شهرين حتى جاءت تطلب الطلاق من غير ذنب جناته ولا أحدثه ..

قالت الزوجة :

هو ما أساء إلى ولكن لا أريده ...

فنظر عمر إلى الزوج فإذا هو شاب قد طال شعره ، وركبه الأوساخ ولم تمسه يد الحلاق ولا الماء منذ شهور .. وله لحية كشمر القنفذ ، وأظافر سود قدرة ، وعلية ثياب ممزقة بالية لا يعرف لها لون أو شكل وتنتشر راحتها القدرة على بعد أمتار ..

فقال عمر للزوجة : اذهبي وتعالى إلى غداً ..

ثم أشار إلى غلامه . فذهب بالرجل إلى الحلاق فأخذ من شعره ، وإلى الحمام فغسله وقلم أظافره ، وألقى عنه هذه الثياب القدرة ، واستبدل بها ثياب جديدة نظيفة ثم جاء به من الغد ، وقد خلق خلقاً جديداً وعاد رجلاً آخر ، وبذلة شبابه وحاله وصحته ، فلما حضرت الزوجة في الموعد الحدد إلى مجلس عمر ورأته بجواره غضت بصرها حياء من حاله ورجولته ، لأنها لم تعرفه وحسبه رجلاً غريباً ...

فأشار عليه عمر أن أمسك يدها ، فلما أمسك بها وثبت غاضبة
وخلصت يدها منه بقوه وقالت :

— أتهجم على بين يدي أمير المؤمنين أهيا الفاسق ..

فقال عمر مبتسمـا ...

— ويحك .. أن هذا زوجك . فنظرت إليه الزوجة غير مصدقة ثم
ألقت بنفسها بين يديه وهي تبكي . ثم انصرفا راضيين ..

قال عمر :

هكنا فاصنعوا هن . انهن يحبون أن تزيينا هن . كما تحبون أن
يتزين لكم .

أم أقل لك أيتها الأخت أن الإسلام شيء .. وأن المسلمين شيء
آخر ..

شيء آخر مختلف جدا عن كل ما جاء به الإسلام من قيم رفيعة
ومثل عليا ..

وتلك هي قمة المأساة .. مأساة الإسلام . مع المسلمين ومأساة
المسلمين مع دينهم العظيم ...!

جَرِيمَةُ ضَدِّ الْمُسْتَقْبَلِ

وتقول الأخت العزيزة أ - ح ...

هل من خلق المسلم أن يستخدم طفلاً عمره أربع سنوات ، أو
خمس سنوات أو ست سنوات في خدمته بدلاً من مساعدته للذهاب
إلى المدرسة ؟

أنت أعلم بأن الله سبحانه وتعالى يفضل «مداد» العلماء أو طالب العلم على دين الشهيد ، وبأن العلم يجب السعي إليه من بدء الخلق حتى المواراة في القبر ، وأن العلم فريضة على المسلم حتى لو كان هذا العلم في أقصى بلاد الدنيا كالصين ..

三

وأؤكد للأخت الفيورة المؤمنة أن ما تقوله هو الحق . وهو الواجب ، وهو ما ينبغي أن يكون بالنسبة لأى طفل مسلم ولأهمية طفلة مسلمة .

فإِلَّا سُلَامٌ كَمَا تَقُولُنَا يَحْرُصُ أَشَدُ الْحَرَصِ عَلَى أَنْ يَنْشأَ أَجَازِهِ وَبَنَانِهِ
نَشَأَةً عَلَيْهِ صَحِيقَةً وَسَلِيمَةً وَشَامِلَةً .

وهناك قصة طريفة يرويها العلماء عن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب .. فقد ذهب اليه رجل يشكو من عقوق ابنته ، معه ، وحين استدعي الولد ووقف بين يدي أمير المؤمنين اعترف بكل ما قاله أبوه عنه ، وحين أتته عمر على عمله هذا قال الولد لسيدنا عمر ...:

ونكن يا أمير المؤمنين أليس للولد عند والله حق؟

فقال سيدنا عمر : بل .. فقال الولد : وما حق الولد على والله يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر : أن يحسن اختيار أمه . وأن يختار له أحسن الأسماء ، وأن يعلمه الكتاب .. أى القرآن ..

فقال الولد : ولكن أى لم يفعل شيئاً من ذلك ..

لقد اختار لي أما كانت «أمّة» تباع وتشترى في الأسواق ..
وسماني «جعران» بدل أن يسمى أحد أو عبد الله ..
كما أنه لم يعلمني شيئاً من الكتاب .. أى القرآن ..

فالتفت سيدنا عمر إلى والله وقال له :

جئت تشكّو ابنك وقد عقّته قبل أن يعقل .. وأسألت إليه قبل
أن يسمى إلينك ..

٤ ... وإذا كانت الأمم المتحدة قد بدأت تعنى بالطفولة ، وقررت إقامة عيد لها في نوفمبر من كل عام في ذكرى إعلان حقوق الطفل وذلك من خلال الوثيقة التي أعلنتها المنظمة الدولية ، فإن الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعين سنة تعنى بالطفولة ، وجعل من مبادئه الكريمة ورعايته عيناً دائمًا لها ، ولم يكتف بحقوقه منذ وجوده في الحياة .. ولكن حدد له حقوقه حتى قبل أن يولد ..

وللطفلة في الإسلام عالمها الجميل المليء بالبهجة والجمال والأحلام والسعادة والحب ، وحديث القرآن عن الطفولة يفيض

بالمودة والنيل ، فالله يقسم بالطفولة : « لا أقسم بهذا البلد ، وأنت
حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ». .

سورة البلد الآية (١ ، ٢ ، ٣) .

والأطفال هم بشرى إلى الآباء من الله :
« يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم يجعل له من قبل سبيا ». .
سورة مريم الآية (٧) .

وهم فرحة العين في هذه الحياة :
« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرتنا فرحة أعين » .
سورة الفرقان الآية (٧٤) .

وهم زينة الحياة الدنيا كما يقول الله :
« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ». .
سورة الكهف الآية (٤٦) .

ورسول الله — عليه السلام — يرسم لنا عالم الطفولة وكأنه عالم قريب
من عالم الجنة فيقول « الأطفال دعائيم الجنة ». . والدعائم هي
نوع من الفراشات الجميلة .

ورعاية الأطفال واجبة ، وحبهم قرب إلى الله ، أليس الرسول
الكرم هو القائل : « لو لاأطفال رضع ، وشيوخ ركع ، وبهائم
رتق ، لا نصب عليكم العذاب انصبابا » لقد جعل رسول الله عليه السلام
الأطفال سبيا في عدم نزول العذاب .

ولقد كان حب الرسول للطفلة يملاً قلبه المضيء ، صعد المنبر ذات يوم يخطب الناس ، ورأى الحسن والحسين يجريان ويتعثران ، فقطع خطبته ، ونزل فاستقبل الطقلين وحملهما على ذراعيه ، ثم صعد المنبر وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » صدق الله العظيم » ، والله لقد رأيت ابني يجريان ويتعثران فما أطفت حتى نزلت فحملتهما » .

وكان يصل ذات يوم فأقبل الحسن والحسين فركبا ظهره وهو ساجد فأطالت السجود ثم أطالت السجود ، ولم يرض أن يعجل بتنزيلهما حتى نزلا ، وحين سلم سالم أصحابه : لقد أطلت السجود يا رسول الله ، فقال : « لقد ارتحلني ابني فكررت أن اعجل بهما » وكان صلى الله عليه وسلم يعجل في صلاته إذا ما سمع بكاء الطفل ويقول : انى أكره أن أشق على أمه » وكان يمر ذات صباح على بيت فاطمة فبلغ مسمعه بكاء الحسين فشق عليه ذلك فقال لفاطمة بعد أن اندهشها : « أو ما علمت أن بكاء يؤذيني » .

ودخل الأقرع بن حابس على الرسول وهو يقبل حفيديه الحسن والحسين فقال له : « اتقبل ولدى ابنتك .. والله ان لي عشرة من الأولاد ما قبلت أحدهم » فقال له الرسول عليه الصلاة السلام : « وما على أن نزع الله الرحمة من قلبك » .

والإسلام لم يتم بالطفل فقط من ميلاده ، وإنما قبل أن يتكون بصورة أو يغير صورة عند أمه وأبيه . فالإسلام يأمر الرجل عند الزواج أن تكون الزوجة متدينة « فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، وأن لا يكون جمال المرأة أو حسبياً أو مالها هو كل شيء ، بل لا بد أن

يضم إلى أي من ذلك أن تكون ذات دين من بيت كريم لأن أولادها سيرثون من أخلاقها وصفاتها وسلوكيها ، وهي عن الزواج بالجميلة دون أن يؤازر هذا الجمال قيم أخلاقية وتربوية .. فقال « ايام وحضراء الدمن » وهي المرأة الجميلة في المثل السوء .. وبالمقابل أرشد الرسول ﷺ - أولياء الخطاوة بأن يبحروا عن الخطاب صاحب الدين والخلق الكريم لدعى الأسرة رعاية كاملة ويؤدي حقوق الزوجة والأولاد « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلفه فزوجوه ، ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (١) .

وإذا كانت التربية الدينية الصحيحة في ذاتها من أول ما تمس إليه حاجة البشر ، فإنها اليوم في طليعة الضروريات التي لا يصح بحال أن يتباون في أمرها . ومن الواجب أن تعال من العناية في حزم وأسراع ما يليق بمحكمتها ، وما يتفق ومقدار الحاجة إليها .

والمدرسة الأولى لهذه التربية هي الأسرة . ففيها وحدها يوضع حجر الأساس . وفيها وحدها يشيد هذا البناء ، حيث تكون الطفولة عجينة طبيعة تتقبل ما يعطي لها من الصور والأشكال ، فضائل كانت أو رذائل ، وحيث تكون التفوس أرضاً براحاً تنبت فيها البنور التي تبلور فيها ، بنور صلاح أو بنور فساد ، وحيث تكون القلوب أوانٍ فارغة إذا ملئت بشيء احتوته وأمسكته ، خيراً كان أو شراً ، ومن شب على شيء شاب عليه .

(١) نقلًا عن كتاب أصدره الأزهر بمناسبة اليوم العالمي للطفولة الذي نظمته الأمم المتحدة .

أما دور التعليم ، وأما مجالس الوعظ والارشاد في دور العبادة وغيرها ، فلا يرجى من ورالها شيء أكثر من تعهد هنا البيان ، وصيانته واعلاء شرفاته ، والعمل على تزيينه .

والمسئول الأول عن هذه التربية هو رب الأسرة . ففرض على كل سلم أن يعني ب التربية أسرته التربية الدينية الصحيحة . وأن ينشر فيها تعاليم الدين ، وفضائله ، بالقول والعمل ، وأن يعمل جاهدا على أن ترعى فيها حقوق الله حق رعايتها ، وألا تتعدى فيها حدوده وأن يكون طابعها الأول هو الطابع الديني الخالص . فإن فرط في شيء من ذلك حل عليه غضب ربه ، واستحق نقمته ، فقد ولأه أمر هذه الأسرة ، وتعهده أن يضيئ إذا هو ضيئها ، وليس وراء ضياعها في دينها ضياع ، وقد استرعاه الله هذه الأسرة فلم يخطئها بعناته ونصيحته في أعلى ما يكفل سعادتها ، ورسول الله ﷺ يقول :

١) ومن استرعى رعية فلم يخطئها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة .

أول ما يجب عليه نحو أسرته في هذا الصدد أن يبدأ بنفسه . فيصلحها بالمواظبة على الفرائض ، واجتناب المحرام ، والتخلق بأخلاق الدين ، والتأدب بآدابه والتحرز عن الأقاصيص والمخرافات الدينية التي تضر ولا تنفع ، والحرص على الا يظهروا له على عورة دينية ، ليكون لهم فيه أحسن القدوة ، وليرى في نفوسهم بالطريقة العملية حب الأعمال الصالحة ، والرغبة الصادقة في التعلل بها ، فهو رب الأسرة وعائلتها ، فله في نفوسهم المكانة الأولى ، وهو موضع حبيهم واعتزازهم ، ومقدار اعزازهم وفخرهم واعجابهم ، فهو قدوتهم المثل ، ومثلهم الأعلى ، فإن هو أخذ نفسه بهذه الطريقة الصالحة ،

وافتقت أعماله وتعاليه . فقد ظهرت عوامل المداية والتهديب وساندت ، فيسرون أولاً على سنته اقتداء به ، ثم لا يلتبون إلا يسرا حتى تفه نفوسهم هذه الصالحات فيؤدوها عن عقبة خالصة وامان كامل . أما اذا نصح وأرشد ، وأمر ونهى . ثم هو في الوقت نفسه يجتب ما يأمرهم به ، ويختلفون إلى ما ينهاهم عنه ، كانت لهم فيه أسوأ قلوة ، واقتلت أعماله ما غرست أقواله ، وجعلت نصائحه وارشاداته هباء متثرا .

وعلى الزوج أن يأخذ زوجه بأداء حقوق الله . كما يأخذها بأداء حقوقه هو أو أشد . وعليه أن يعلمها ، أو أن يسر لها تعلم ما تحتاج إليه في أداء هذه الحقوق ، وعليه بوجه عام أن يأمرها بالمعروف ، وينهاها عن المنكر ، بينما هذا أول ما يبدأ باللين واللطف ، فإن لم تستجب أرتقى إلى مرتبة النصح والوعظ والتخييف بالله وعقابه ، فإن لم ينفع هذا ارتقى إلى مرتبة الاغلاظ في القول والتعنيف ، وليس له أن يتجلوز معها هذه المرتبة فيما يرجع إلى حقوق الله ، ولست من حقوقه ، اللهم إلا أن تكون على معصية فعليه أن يمنعها منها .

والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم ليسوا بمحظيين شرعا ، ولكن عليه أن يعلّمهم فرالفض دينهم ، وما يحتاجون إليه في أدائها ، وعليه أن يؤدبهم بآداب الدين ، ومكارم الأخلاق ، وعليه أن يعدهم أداء الطاعات لتألفها نفوسهم ، واجتناب المعاصي ليألفوا بعد عنها ولا يجعل له أن يترکهم فيتناولوا من الطعام والشراب مالا يحل لهم تناوله بعد البلوغ ، وهذا أيضا هو حكم اللباس ، ويأخذهم

في هذا كله باللين واللطف ، ثم بالموعظة الحسنة ، ثم بالشدة والعنف ، ثم بالضرب .

ومن جوامع الأدب في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

« الغلام يقع عنده يوم السابع ويسى ويماط عنه الأذى . فإذا بلغ ست سنين أدب (أي بدأ في تأدبه) . فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه . فإذا بلغ ثلث عشرة ضرب على الصلاة . فإذا بلغ ست عشرة روجه أبوه . ثم أخذ بيده وقال : قد أديتك وعلمتك وأنكحتك . أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعنذابك في الآخرة »^(١) .

نعود بعد ذلك إلى « العلم » ومكانة هذا العلم وأهمية هذا العلم في حياة كل مسلم ومسلمة يقدر على تحصيل العلم .

ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ..

هذا هو شعار الإسلام الذي رفعه منذ أربعة عشر قرنا ، وألزم به المؤمنين قولًا ، وعملًا ، ومير به المسلمين دينا وأمه .

حسبنا في ذلك أن يكون أول نداء يفتح به الله وجهه إلى نبيه محمد — ﷺ — قوله عز شأنه : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علقي ، اقرا وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

(١) نقلًا عن كتاب الأسرة في الإسلام للضببة الشيخ فرج السنوري .

يأمر الله بالقراءة ، والقراءة طريق العلم والمعرفة ، ثم يرشد إلى الاستعانتة عليها باسم (الرب) مفيض التربية ووسائلها على جميع الخلق ، فيستشعر الإنسان بعزة شأنها وأنها من الأمور العظمى ، ثم يذكر خلقه وتكونيه ، ويردفه بنعمة العلم « الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم » .

ويكون بذلك قد سوى بين نعمة الخلق والإيجاد ونعمة العلم .. فيكون ذلك إيحاء بأن الخلق الجاهل لا اعتداد بوجوده في هذه الدنيا ..

ان الناس في نظر الإسلام أحد رجلين : أما متعلم يطلب الرشد ، وأما عالم يطلب المزيد ، وليس بعد ذلك من يؤبه له بعدهما .

يقول النبي عليه الصلاة والسلام : (العالم والمتعلم شريكان في الخير .. ولا خير في سائر الناس) ..

وفي الحديث أيضا :

« من سلك طريقة يطلب فيه علما سهل الله له طريقة إلى الجنة ، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم .. فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

فإذا أمعنا النظر في صفحات القرآن الكريم رأينا هذا الجوار القائم بين الله سبحانه وبين الملائكة عن (آدم) واستخلافه عن الله في الأرض .

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
 قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ وَيُسْفِكُ الدَّمَاءَ . وَنَحْنُ نَسْعَ
 بِحَمْدِكَ ، وَنَقْدِسُ لَكَ ؟ .. قَالَ : أَنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ..
 وَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضُوهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالُوا : أَنْتُمْ
 بِالْأَسْمَاءِ هُؤُلَاءِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ..
 قَالُوا : سَبَّحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .
 قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِهِمْ بِأَسْمَاهُمْ ، فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِأَسْمَاهُمْ قَالَ : أَلَمْ أَفْلَ
 لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ بِغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تَبَدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ
 تَكْسُونَ^(۱) ..

حيثُنَّ .. سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ تَكْرِيماً .. تَكْرِيماً وَتَعْظِيماً لِلْعِلْمِ
 الَّذِي تَفَرِّزُ بِهِ آدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ وَحَلَةِ الْعَرْشِ ..
 أَلِيُّسْ فِي هَذِهِ الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ إِشْعَارًا بِأَنَّ الْأَسَاسَ الَّذِي
 تَفَرِّزُ بِهِ آدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ .. ?

أَذْنَنَّ مَا الْعِلْمُ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ الإِسْلَامُ ؟
 أَنَّ الْعِلْمَ فِي نَظَرِ الإِسْلَامِ هُوَ كُلُّ إِدَارَكَ يُفَهِّدُ الْإِنْسَانَ تَوْفِيقًا فِي
 الْقِيَامِ بِمِهْمَتِهِ الْعَظِيمِ الَّتِي أَلْقَيْتَ عَلَى كَاهْلِهِ مِنْذَ قَدْرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَ
 خَلِيفَةً لِللهِ فِي أَرْضِهِ .

(۱) سورة البقرة : الآيات : ۲۰ - ۳۲ .

• هذه المهمة هي عمارة الأرض واستخراج كنوزها واكتشاف أسرار الله فيها . فإذا ما يصلاح به النبات وينمو ، وما تسببت به الأرض وتحيا علم .. وإذا ما يصلاح الحيوان ويستمر به نسله .. علم .

وإدراك الوسائل النافعة لتحصيل الأموال .. وإزدهار الصناعة ..
علم .

وإدراك الأمراض وعللها وكيفية علاجها والوقاية منها .. علم .

وقد أدرك المسلمون الأولون قيمة العلم ومتزنه في سعادة الأفراد والأمم ، كانوا أممأة لا تقرأ ولا تكتب فجدوا في حمو أميتهم بكل الوسائل حتى أطلقوا سراح الأسير إذا هو علم عددا من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وجعل تعليم القرآن مهرا في الرواج ، وأطلقوا لأنفسهم سراح النظر في الكائنات ، فأذرركوا منها ما يسعدهم في الحياة ، و يجعلهم أئمة يهبون بأمر الله .

ومنذ نزول القرآن الكريم وشق به الرسول طريق الحياة ، شرع العقل الإسلامي يعمل بمجهد رائع وحرزية مطلقة ، وبختلف العلماء باختلاف أساليب البحث والنظر دون أي حرج .

لقد هدم الإسلام أسوار الكهنوتية البغيضة ، وأزاح عن العقل كل
وصاية مفروضة ، وأطلق ملوكات الإنسان الحبيبة كى تأخذ مسارها
الطبيعي في رحاب الكون كله .. فلم يشهد المجتمع الإسلامي ما
شهدته أوروبا من تحجر العقل ، وجدب الروح وبلادة الحس ،
والضراوة في محاربة العلماء والعلم .

ويذكر التاريخ .. أن عدد العلماء الذين عوقبوا في أوروبا بلغ ثلاثة ألف .. أحرق منهم أثنا وثلاثون ألفاً أحياء ..

كان منهم العالم الطبيعي « برونو » وعقب العالم الطبيعي جاليليو بالقتل وحرقت كتبه لأنه اعتقد بدوران الأرض حول الشمس .. ولم يصدر الحكم ببراءته إلا منذ سنوات حين أصدر الفاتيكان قراراً بتبرئته من الأخلاقيات والكفر ..

وحبس « دى رومنس » في روما حتى مات .. فحوكمت جسده وألقيت في النار .. لأنه أعتقد أو قال : إن (قوس قزح) ليست قوساً حربياً ينتقم بها الله من عباده إذا أراد ، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء ..

ونجاة المجتمع الإسلامي من هذه المأسى الشائنة التي خيمت على أوروبا يعود إلى طريقة القرآن في ربط الإنسان بالكون وأطلاقه الحرية الكاملة للباحثين دون حظر ولا قيد ..

يقول كارلسكي أن الخدمات التي أداها العرب للعلوم دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم بينما كانت أوروبا تعيش في ظلمات القرون الوسطى . ولو لم يظهر العرب على المسرح تأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون ..

وهكذا ترين أيتها الأخت أن الإسلام أعطى - العلم - هذه الأهمية التي لم يسبق بها في أي دين أو تشريع أو حضارة عرفتها هذه

الدنيا . وأن هذا « العلم » هو المقياس أو الميزان أو الفاصل بين الأحياء والموت ..

وإذا كان تكليف الله لعباده لا يتحقق قبل أن يبلغ الإنسان سن التكليف أو قبل أن يصل إلى مرحلة البلوغ .. أصبح واضحاً أن تكليف الأطفال بأى عمل قبل هذه السن يعتبر جريمة في حق الطفل ، باستثناء التعليم الذى يبدأ في مرحلة مبكرة قبل بلوغ هذه السن . على نحو ما ورد في الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ..

والوالدان هما المسؤلان أولاً وقبل كل شيء .. وهي مسئولية تفرض علينا الاهتمام والرعاية بأطفالهما منذ البدء .. وليس أهم من التعليم للطفل في هذه المرحلة المبكرة من العمر ، وحرمان الطفل من التعليم جريمة تساوى في أثارها وتنتائجها جريمة « الوراء » التي كان العرب يفعلونها خوفاً من العار أو الفقر ، والتعلم في « الصغر » كالبيش على الحجر كما تقول الأمثال السائرة في مصر .

فإذا عرفنا — بعد ذلك — أن القوانين تحرم عمل الطفل ، وتعتبر ذلك جريمة في نظر القانون والشرع . أدركتنا خطورة هذا التصرف الذي يتم بالقسوة والأنانية وإهانة الحياة والمستقبل بالنسبة لأى طفل .

وإذا كان الإسلام يحرم استخدام الحيوان استخداماً يعرضه للهلاك والموت فكيف بالإنسان الذى كرمه الله واختاره خليفة عنه فوق هذه الأرض .. ؟ ..

لقد حدث في مطلع هذا العام أن اكتشفت الشرطة مخبزا يسرّع صاحبه الأطفال الصغار ، والأدهى من ذلك وأمر . أن الأطفال حوصروا داخل هذا المخبز فلم يسمح لهم بالخروج منه في الليل أو النهار . لقد فزع الرأي العام كله من هول هذه الجريمة ، وتحدثت الصحف عنها لفترة طويلة ، وقد أدين هذا العمل ادانة كاملة من العلماء ورجال الفكر ، ولم تسلم الأجهزة الحكومية من اللوم والنقد ، فقد اكتشف أن هناك قوانين تحرم استخدام الطفل في مثل هذا العمل .

والقانون لا يكون قانوناً إلا إذا وقفت وراءه قوة تحميه وتنفذه أو ضمير حي ينتمي صاحبه من الخروج عليه أو نبذه ..

古文

وانها ظاهرة مؤسفة تجدها في معظم بلدان العالم الثالث أو المتخلف .. وهي ظاهرة لعوامل كثيرة تحمل أوروبا أوزارها كلها لو تخربنا الحقيقة وبختنا عن الواقع الكامنة هذه الجريمة ..

ولأنها أولادنا يبتا .. أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الرفع على بعضهم .. لامتنعت عيني عن الفغمض

النَّهَايَةُ .. الْمُشِيرَةُ ..

وفي النهاية تختتم الأخت (أ - ح) أسئلتها بهذا السؤال المشتمل على أربعة أسئلة .. مثيرة ، وشيقة ..

(أ) هل الشيطان يمكن رؤيته من الناس .. أعني على الأرض ؟
أنتي أفكري في حالة مارتن لوثر .

(ب) أين توجد أرواح الموتى الذين يتظرون يوم القيمة بعد رحيلهم من هذه الدنيا ؟

(ج) هل كل غير المسلمين مصيرهم النار .. أم هم هؤلاء الذين ولدوا بعد ظهور الإسلام من الذين جاءهم الدليل وتكلروا له .

(د) هل حقيقة أن هؤلاء الذين كتبت عليهم النار سيظلون بها دواما ، أم أنهم سيظلون بها لوقت يكفي للتکفیر عن خطاياهم كمكان للعبور ينتهي بوصولهم إلى الجنة ؟

إن القرآن يذكر حال الدين فيها أبدا ، ولكن أليس في فقرة الله أن يقرر شيئا آخر في نهاية المطاف ؟

في البداية .. حاولت أن أعرف شيئا عن تلك « الحالة » التي تعرض لها « مارتن لوثر » مع الشيطان .. والتي أشارت الأخت إليها في أول فقرة من هذا السؤال ..

لم أتعثر فيما بين يدي من مراجع على شيء يؤكد ذلك ، وبخاصة في دائرة المعارف البريطانية التي لا يفوتها — غالباً — شيء مثل هذه الحالة الشيطانية التي تعرض لها «لوثر» .. وشاء القدر أن يقع في يدي العدد الخاص الذي أصدرته مجلة «التأيم»^(١) بمناسبة مرور ٥٠٠ خمسمائة عام على حركته الانشقاقية ضد البابا والفاتيكان ، وكلفت شقيقى بمراجعة هذا العدد عليه يقاضى على «لوثر» متلبساً بهذه «الحالة» التي تؤكد صلته بالشيطان ...

وأعتقد أن ما قصدته الأخت بقولها عن هذه الحالة إنما هو التحول الذى طرأ على حياة لوثر من العمل في الخدمة . إلى الأخاد . إلى الرهبة . إلى زيارته لروما وثورته على فساد الكنيسة وطغيان بابواتها الذين حولوا المسيحية إلى «بنك» يتعاملون فيه بالربا الفاحش والفائدة المركبة على نحو ما كان يتعامل به البابوات والكرادلة «بصكوك الحرمان والغفران» مع شعوب أوروبا في القرون الوسطى ..

أما أن يكون «الشيطان» قد ظهر عياناً أمام «مارتن لوثر» فهذا مالم نجد له آثراً ، ولم يشر إليه مرجع نتخذه سلناً .

أن أول ما عرفناه عن ظهور الجن وتعاملهم مع البشر عرفناه من قصة سليمان النبي ، على نحو ما ورد في سورة «سبأ»^(٢) و «الثليل»^(٣) .

(١) عدد ١٧ أكتوبر ١٩٨٣ .

(٢) السورة رقم ٣٤ .

(٣) السورة رقم ٢٧ .

ولكن الإنحيل يذكر أن المسيح عليه السلام قد التقى بالشيطان ، وعاش معه في تجربة لفترة من الزمان .

فقد جاء في الاصحاح الرابع من انجيل لوقا : أن يسوع رجع من الأردن ممتلاً من روح القدس ، وكان يقاد بالروح في البرية أربعين يوماً يمر بها ابليس ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام فلما نمت جاعاً أخيراً ، وقال له ابليس : إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصبر خبراً ، فأجابه يسوع قائلاً : مكتوب أن ليس بالخiz وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة من الله ، ثم أصعده إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان ، وقال له ابليس : لك اعطي هذا السلطان كله وعدهن لأنه إلى قد دفع وأنا أعطيه من أريد . فإن سجلت أمامي يكون لك الجميع ، فأجابه يسوع وقال : إذهب يا شيطان .. انه مكتوب للرب اهلك تسجد وإيه وحده تعبد ، ثم جاء به إلى أورشليم واقامه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملاتكه لكي يحفظوك وأنتم على أيديهم يحملونك لكي لا تتصدم بمجر رجلك ، فأجاب يسوع وقال له : انه قيل لا تجرب رب اهلك . ولما أكمل ابليس كل تجربة فارقه إلى حين^(١) .

وواضح من هذه المقابلة أن المسيح عليه السلام قد التقى بالشيطان ، وعاش معه تجربة طويلة لفترة مخلودة من الزمان .

أما بالنسبة لرسول الله ﷺ . فلعل أوضاع اجابة نقدمها ردًا على هذا السؤال هو ما جاء في سورة «الأحقاف»^(٢) .

(١) الاصحاح الرابع من انجيل لوقا .

(٢) الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

٤ وإذا صرنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن . فلما حضروه
قالوا أنصتوا . فلما قضى ولوا إلى قومهم متذرين . قالوا يا قومنا إننا
سمينا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق
والم طريق مستقيم ٥ إلى آخر الآيات .. ٢٩ - ٣٢ الأحقاف .

وقد ذكر الإمام بن كثير عند تفسيره هذه الآيات كثيرا من
الأحاديث التي تؤكد لقاء هؤلاء الجن بالنبي لقاء مباشرا على نحو ما
يقع بين الآدمي والآدمي ..

و قبل أن نترسل في الاجابة ، أو تخطفنا الشياطين في كل
ناحية .. يجب أن أشير إلى حقيقة هامة لابد منها في صلب هذه
الاجابة .. هذه الحقيقة تتصل بطبيعة العوالم التي تشاركتنا الحياة في
هذا الكون الهائل ، وصلتها بالخلق الأعظم جل شأنه ..

فالملاك خلقوا من النور ..
والجن خلقوا من نار السعوم .
والإنسان خلق من صلصال من حمأ مسخون .

والجن فريقان : مؤمن وكافر .. والكافر من الجن هو الشيطان أو
أبليس وذراته من الشياطين .

ومن الواضح أن لكل عالم من هذه المخلوقات طبيعة التي تختلف عن
طبيعة العالم الأخرى ، من حيث العناصر ، ومن حيث التكوين ،
ومن حيث النهج أو الأسلوب الذي يتعامل به كل عالم مع غيره من
العالمو في هذه الدنيا .

ومن الواضح أيضاً أن لكل عالم دائرة خاصة أو وجوداً خاصاً لا يمكن تجاوزه فإذا حدث هنا التجاوز أو التداخل فإنه يحدث مع الأنبياء والرسل . لأن للأنبياء والرسل شأنها خاصاً عند الله ليس لأحد من البشر ..

غير أن للصوفية رأياً آخر بالنسبة لهذه القضية .. ففي عالم الكرامات — ولست أذكره — نجد صوراً كثيرة لهذا النوع من التداخل بين عالم الأنس والجن ، والملائكة والروح .

كما نسمع عن كرامات بعض الزهاد والصالحين برويها عنهم عذول ثقات مشهورون بالأمانة والصدق . فالكرامة على أية حال أمر خارق للعادة يظهره الله على يد « ولی » كأن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد « نبی » .

ومنذ طفولتي المبكرة وأذناني تسمع الكثير عن هذه الكرامات النسوية إلى الأولياء الصالحين من آل يت النبي .. بل انتهى لازلت أذكر منذ حداثي في القرية قصة الرجل الذي تزوج من « جنة » .. وكيف عقد قرانه عليها إمام جليل مشهور بالصلاح والتقوى ..!

ويرى الإمام الأكبر الشيخ شلتوت^(١) : أن عمل الجن أو الشيطان لا يتجاوز الوسعة والأغواء فقط .. أما ما وراء الوسعة

(١) نقلًا عن كتاب « الفتاري » ص ٢٤ وما بعدها .

والأغواء — من ظهورهم للإنسان العادى بصورتهم الأصلية ، أو بصورة أخرى يشكلون بها ، ومن دخولهم في جسمه ، واستبلاطهم على حواسه ، ومن استخدامه إياهم في جلب الخير ودفع الشر ، واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب عن طريقهم ، ومن التزوج بهم ومعاشرتهم ، وغير ذلك مما شاع على ألسنة الناس — فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المقادير الشرعية ذات القطع واليقين ، وقد صدق كثير من الناس — في كل العصور كثروا مما يسمع من أحاديث الجن ، أو يتخيل من تصرفات منسوبة إليهم ، صدقوا ظهورهم للإنسان العادى وتشكلهم بغير صورتهم ، وصدقوا محاداتهم للإنسان ، ودخولهم في جسمه ، وصدقوا استخدامه إياهم في جلب الخير ودفع الشر ، وفي العلم بالغميقات .

صدق كثير من الناس ما شاع من ذلك عن الجن ، وتناقلوا فيه الحكايات التي ربما رفعوها إلى السلف الصالح ، واستمروا على ذلك حين جاراهم الفقهاء وفرضوا صحته ، واتخذوا من هنا الفرض مادة جعلوا منها حقلًا للتدریب على تطبيق كثير من الأحكام الشرعية عليهم ، وكان منهم من تخدّلوا عن صحة التزوج بهم ، وعن وجوب الفضل على الأنسبة إذا خالطها جنى ، وعن انعقاد الجماعة بهم في الصلاة ، وعن مرورهم بين يدي المصلي ، وعن روایتهم عن الأننس وروایة الأننس عنهم ، وعن حكم استنجاء الأنس بزادهم وهو « العظم » ، وعن حكم الأكل من ذبائحهم ، إلى غير ذلك مما نراه منشورا في كتب الفقه ، أو تجدته في كتب خاصة ذات عنوانين خاصة بالجن .

وإذ أعتقد أن ذلك من فقهائنا لم يكن إلا مجرد تمرير فقهي ،
جرياً على سنته في افتراض الحالات والواقع التي لا يرتب
وقوعها ، أو التي لا يمكن أن تقع . وإذا ففروض الفقهاء ، التي لم
يقصدوا بها إلا مجرد التدريب الفقهي ، لا تصلح أن تكون دليلاً أو
شبه دليلاً على الواقع والتحقق ، فلتدركهم على سنته يفترضون
ومرددنا في ذلك إلى القرآن الكريم .

والقرآن الكريم يتن الله فيه على الناس بنعمة الأزواج ، وبأن
جعلهن من جنسهم ، وجعلهن سكناً وmode ورحمة ١ والله جعل لكم
من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفلة ٢
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل
بینکم مودة ورحمة ٣ وهذا يقطع حبل الشك في فساد القول
بإمكانية التزوج منهم فضلاً عن صحته أو فساده .

وكذلك يمحى الله في القرآن ما تحدث به الجن إلى قومهم في شأن
الأنس ، الذين كانوا قبل الرسالة المحمدية يعتقدون أن للجن سلطاناً
عليهم ، فيعودون ب الرجال منهم يخلصونهم من سلطان الجن ، بما
يزعمون لأنفسهم من سلطة استخدام الجن ، وسلطة منهم من
أذاهم ، ولنصح إلى الجن وهم يتحدثون إلى قومهم في عقيدة أنهم
يعلمون الغيب ، أنها عقيدة فاسدة ، وأن الغيب لله وحده ٤ وأنا

(١) الآية ٧٢ من سورة السحل .

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم .

لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رحمةً رشداً^(١) ، وإذا كان هذا حديثهم عن أنفسهم بالنسبة لمعرفة الغيب الذي جاء فيه قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيره أحداً » ، إلا من ارتكبوا من رسول^(٢) ، قوله في جن سليمان : « فلما خر تبنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين^(٣) » ، إذا كان هذا حديثهم بالنسبة لمعرفة الغيب ، وكان حديثهم عن أنفسهم بالنسبة لسلطانهم على الأنس ، وأن هنا وذاك موضع إنكار منهم أنفسهم ، كما حدث القرآن ، صرنا إلى يقين لا يمسه ريب بأن الجن لا يعلمون الغيب ، ولا يقدرون على الإيذاء الاتصال أو التلبسي مع الناس .

ومع هذا كله قد تغلب الوهم على الناس ، ودرج المشعوذون في كل العصور على التلبيس ، وعلى غرس هذه الأوهام في نفوس الناس ، استغلوا بها ضعاف العقول والإيمان ، ووسعوا في نفوسهم أن الجن يلبس جسم الإنسان ، وأن لهم قدرة على استخراجه ، ومن ذلك كانت بدعة الزار ، وكانت حفلاته الساخرة المزريمة ، ووسعوا في نفوسهم أن لهم القدرة على استخدام الجن : في المحب والبغض ، والزواج والطلاق ، وجلب الخير ودفع الشر .. الخ .

وجريدة الناس أن يستغلوا بما يعنفهم ، وبما ينفعهم في دينهم ودنياهم . جديرة بهم ألا يجعلوا للدجل المشعوذين سبيلاً إلى قلوبهم ،

(١) الآية ١٠ من سورة الجن .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الجن .

(٣) الآية ١٤ من سورة سـا .

فليحاربواهم وليطاردوهم حتى يطهر المجتمع منهم ، وليعرفوا ما أوجب الله عليهم معرفته مما يفتح أبواب الخير والسعادة .

أما عن الروح .. ومكانتها بعد الموت .. وقبل أن ينفع في الصور ، نفحة الحشر ، ويخرج الناس سراعاً من القبر ..

فهذا كثيرون من العلماء : أن أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء أو غير شهداء إذا لم يمحهم عن الجنة كبيرة ولا ذئب ، وهو مروي عن أبي هريرة وأبي عمر . و قريب منه قول الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله : أرواح الكفار في النار ، وأرواح المؤمنين في الجنة لقوله تعالى : (فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ) ذكره تعالى بعد ذكر خروجها من البدن ، وقسمها ثلاثة أقسام : مقربين : في الجنة ، وأصحاب العين : سالمين من العذاب ، ومكذبين : لهم خزل من حميم ، وتصلية جحيم .

وأخرج عبد الله بن منده عن أم كبشر بنت المعرور قال : دخل علينا النبي - عليه السلام - فسألناه عن هذه الروح فوصفتها حتى أبكي أهل الميت فقال : إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا الحق بنا أخواننا وآتنا ما وعدتنا ، وإن

(١) سورة الواقعة الآية ٨٩ .

ل فلا عن كتاب التلوي للعلامة الشيخ يوسف الدجوى - بتصريف ج ١ ص ٤٤٣ وما بعدها .

أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار
وتلوي إلى حجر في النار ٤ .

وقيل : ان الذين في الجنة هم الشهداء لقوله تعالى : (ولا تحسين
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)^(١) .

وروى عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : « الشهداء يغدون
ويعودون في الجنة ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش » ٥ .

ولى صحيح مسلم وجامع الترمذى وغيرهما عن مسروق قال :
سألت عبد الله بن مسعود عن هذه الآية (ولا تحسين الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أنا قد سألنا عن
ذلك رسول الله — عليه السلام — فقال : « أرواحهم في أجوف طير
حضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة في أيها شاءت ثم تلوي
إلى تلك القناديل » ٦ .

وأنخرج أحمد وأصحاب السنن عن كعب بن مالك أن رسول
الله — عليه السلام — قال : « أن أرواح الشهداء في طير حضر تعلق^(٢) من
ثمر الجنة — أو شجر الجنة » ٧ .

وقال رسول الله — عليه السلام — « لما أصيّب أخوانكم — يعني يوم
أحد — جعل الله أرواحهم في جوف طير حضر ترد أنوار الجنة
وتأكل من ثمارها وتلوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

(٢) تعلق : أى تتلوك : وهو بضم اللام ، كلام المطر .

« الحديث » . وفي بعض الآثار : « في صور طير » وفي بعضها « في أجواف طير » وفي بعضها « كطير خضر » .

وعن أبي موسى الأشعري قال : « تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون : هذا فلان بن فلان كان يعمل كذا وكذا لمحاسن عمله فيقولون : مرحبا بكم وبه ، فيقضوتها منهم فيصعدون به من الباب الذي كان يصعد منه عمله فتشرق في السماء وما برها كبرها الشمس حتى تنتهي إلى العرش ، وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروجه فيقولون : ما هذا فيقولون : فلان بن فلان كان يعمل كذا وكذا ، لساوى عمله فيقولون : لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد إلى أسفل الأرضين » .

وقال ابن القيم : إن الأرواح المتعمة مطلقة لا حجر عليها ، فأرواح الأنبياء في الجنة وفي عاليين ، ولكن ذلك لا يمنعها أن تكون في السماء الأولى أو الثانية . كما في حديث المراج ، وأنها مطلقة تكون عند قبرها وتذهب حيث شاءت ، فالآثار في ذلك كله صحيحة وحق لا مرية فيه .

وقال الحكيم الترمذى : الأرواح تحول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا وأحوال الملائكة ، تتحدث في السماء عن أحوال الأدميين ، وأرواح طيارة إلى الجنان إلى حيث شاءت ، على أقدارهم من السعي إلى الله تعالى أيام الحياة .

وذكر البهپى في كتاب عذاب القبر أنه لما توف إبراهيم بن

الى - ﷺ قال رسول الله - ﷺ : إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الصَّحِيفِ ، ثُمَّ قَالَ : فَحُكِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى ابْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ يَرْضَمُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ مَدْفُونٌ بِالْبَقِيعِ فِي مَقْبَرَةِ الْمَدِينَةِ .

وقال عليه السلام : « ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجة حتى اذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ، وكذا المؤمن يبكي من الموت فإذا أقضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه » .

وفي البخاري أن أبا سعيد الخندي يقول : ان رسول الله ﷺ قال : — « اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ولها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعها لصعق ». لصعق

وفي فتاوى ابن تيمية ما نصه : « ما تقولون في الأحياء إذا زاروا

الأموات هل يعلم الأموات بزيارتهم وهل يعلمون بالميت اذا مات من قرابتهم أو غير قرابتهم ؟ .

فقال ابن تيمية : نعم قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء عليهم فيما رواه ابن مالك عن أبي أبوب الأنصارى قال : « إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشر في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض أنظروا أخاكم ليستريح فإنه كان في كرب شديد ، قال فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ » الحديث .

وأما علم الميت بالحى إذا زاره ففى حديث ابن عباس قال : قال : رسول الله ﷺ ما من أحد يمر بغير أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا ورد عليه السلام ..

وفى مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان رأوا خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تغمthem حتى تهدىهم كما هدينا » وفي رواية عن الطيالسى فى مسنده عن جابر بن عبد الله « وان كان غير ذلك قالوا اللهم ألمهم أن يعملوا بعذابك » .

قل لاخوان رأوني مينا .. فبكوف ورثوا لي حزنا
أنظنون بأنى مينكم .. ليس ذاك الميت والله أنا
انا ذئر قد حواه صدف .. لامتحانى فتفيت الحنا
كتت قبل اليوم مينا ينكם .. فحيت وخليعت الكفنا
وأنا اليوم أناجى ملأ .. وأرى الله جهارا علينا



وفي هذه القصيدة تأكيد لثك الحياة البرزخية التي تحياتها كل روح
خرجت .. ولئن حين تقوم الساعة وينصب ميزان العدل الالهي
لتجزى كل نفس بما كسبت ..

★★★

وتساءل الأخت عن مصر غير المسلمين من لم تبلغهم الدعوة ،
وهل يدخلون النار ، أم أن دخول النار خاص بمن بلغته الدعوة .. ثم
أصر — بعد ذلك على — عناده وكفره ؟

★★★

والجواب عن هذا السؤال . واضح في القرآن جدا حيث يقول
الله عز وجل « وما كان معلين حتى نبعث رسولا .. » رسلا
مبشرين ومنذرين لقلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ..
وما من نبي أو رسول الا تمنى لقومه الهدى ، وسلك في دعوته
هذه كل الطرق الممكنة لإيصال هذه الهدى واضحة .

وفي ضوء هاتين الآيتين يمكن أن نقول بصراحة أن الذين لم تبلغهم
الدعوة لا ينطبق عليهم حكم « الكفار المعاندين » الذين قامت عليهم
الحججة ..

والإسلام في موقفه هنا أكثر سماحة ورحمة من غيره .. فالمسيحية
التي تتحل قوله — لا عملا — صفتى الرحمة والمحبة ، ترى العالم
« غير المسيحى » محبوسا ووثنيا يستحق العقاب واللعنة ، ولا تستثنى
من هذا الحكم أحدا — حتى المسلمين — الذين كان لهم الفضل في
الاعتراف بالمسيحية وتأكيد رسالة المسيح ونبيته بعد أن أنكرها

اليهود وأهالوا على وجهه الكريم ، ووجه أمه البطل تراب الإفتاء
والأكاذيب والتهم . فكل ما عدا المسيحيين محوسى ووثنى ولن تتجو
روحه من العذاب مالم يدخل مختارا في مملكة الصليب ، وما لم يخضع
ويذعن لكنيسة الرب يسوع المسيح ..

★★★

وأدعوك للارتفاع معى الى هذا الحوار الذى تم — قبل سنوات —
في مكتب الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .. لقد
اشترك في هذا الحوار حوالى أربعين أستاذًا جامعيا من مختلف جامعات
الولايات المتحدة الأمريكية ، كما اشترك فيه حوالى عشرة قسّى
يمثلون مختلف الكائس الأمريكية ..

كان الغرض من هذا الحوار أصلا الاستشراف إلى آفاق جديدة
للتعاون الصادق بين الاسلام والمسيحية .. فجأة .. وبدون
مقدمة . وقف أستاذ أمريكي يقول لشيخ الأزهر .

— نريد أن نعرف . اذا كنا نحن المسيحيين من يدخلون النار أم
لا ؟

ألم أقل انها مفاجأة .. ولكنها مفاجأة من النوع الأمريكي
النروي 11.

وكما كان السؤال أو « التفجير » مفاجأ .. كانت الاجابة أو الرد
مفاجأ أيضا ..

لقد كان الرد كما يأن :
ان الناس في نظر الاسلام واحد من ثلاثة :

- (أ) انسان لم تبلغه الدعوة أصلاً وهذا من الطلقاء الذين لا يتعرضون لحساب ولا عقوبة .
- (ب) انسان بلغته الدعوة . ولكن في صورة مشوهة وغير واضحة ولم يكن هناك ما يساعدك على معرفة الحقيقة ، ومثل هذا الإنسان يفوض أمره إلى الله ، ولا يمكن أن تحكم عليه — إيماناً أو كفراً .
- (ج) انسان بلغته الدعوة واضحة ، وتتوفرت لديه أسباب الاقناع والمداهنة ولكنه أصر على كفره وعناده ..
- ومثل هنا .. لا تختلفون معنا .. ان مصيره جهنم ... !!!

لقد ضجت القاعة من شدة الضحك .. وصفق الجميع اعجاباً بما سمع ، وإن بدت على وجه أحد القساوسة غيرة .. ولا أدرى أكان غيرة الندم ؟ أم غيرة الخوف من المستقبل ؟ أم الغيرة من خوف آخر لم يفصح عنه الأب الميجيل ... !؟ ..
وأخيراً ..

تسأل الأخت « أ — ح » عن « جهنم » .. وهل تبقى إلى الأبد مكاناً للجحيم كما ستبقى الجنة إلى الأبد فردوساً للنعم ..؟ ..

ان مشاعر أختنا المرهفة تتعنى لـ « جهنم » نهاية سريعة .. فهى كما يبدو رقيقة الحس شديدة العاطفة .. ، وليس من أحد يتعنى لأحد هذا المصير الأسود في هنا الجحيم المؤبد ... !

ولكتنا تناسى الحكمة الالهية في ايجاد هذه العقوبة الأبدية ..

فمنذ عرفت الدنيا وكان هذا العالم لم يخل جيل ولم يخل بلد ولا
قطر من طفاة ، وجباررة ومتآمرين وسفاحين وقتلة حولوا حياتنا فوق
هذه الأرض جحينا وسموا ولظى ... !

ومنذ عرف الرمان والمكان . ووجد الانسان .. والمنابع
وحرروب الابادة لم تتوقف لحظة .. وتاريخ البشرية مليء بالدماء
والأشلاء والجرائم التي ارتكب على أيدي طائفة استباحت كل
حرمة ، وخرجت على كل شريعة وملة ، وفرضت نفسها على الناس
والحياة الملة تحكم في الأرواح والأرزاق ، وتحمى وتنبذ كما شاء لها
الهوى الجامع والطغيان الصارخ .. والأفساد في الأرض ..

و « جهنم » الآخرة أوجدها الله للذين أهدروا الانسان .
والإيمان . والحياة في « جهنم » الدنيا .. ؟ ..

وليس من العدل أن يفلت القاتلة والطغاة والسفاحون من
جرائمهم التي ارتكبواها ضد ابراء لم يرتكبوا ذنبنا ..

صحيح أن رحمة الله واسعة . وربنا واسع الرحمة والمغفرة ، وهو
 قادر على العفو في أية لحظة . إلا أنه جل شأنه ، وبحكمة بالغة عنده
لا يرضى بظلم من ظالم ضد مظلوم ضعيف .. ولهذا ترك للمظلوم
وحده — حق العفو — عن ظالمه يوم الحساب الأكبر ..

وبالرغم من ذلك كله .. فالكلام عن بقاء « جهنم » وخلودها
توقف من بعض العلماء .. وفي هنا يقول الامام الأثير الشیخ محمود

شلتوت^(١) :

(١) الاسلام عقيدة وشريعة من ٣٩ طبعة الازهر .

ان المسلم لا يشك ولا يتردد في الإيمان بذوام نعيم الجنة دواما لا
القطاع له ..

كما لا يشك ولا يتردد في أن المكذبين — عنادا واستكبارا —
سينالهم حتا جزاء تكذيبهم الذين خرجوا به عن فطرة الإيمان ،
ولكن .. هل يذوم العذاب وتدوم النار كما يذوم النعيم وتدوم الجنة ؟

يقول الإمام محمود شلتوت :

هذا بحث عميق واسع الطاق . تناوله المتقدمون من السلف ،
وتععددت فيه الأقوال والأراء .

ثم يقول الشيخ شلتوت :

ليس في القرآن نص قطعي صريح في ذوام النار . وإنما فيه التصریح
بخلود الكفار فيها ، وهذا « الخلود » يتتحقق بأنهم لا يخرجون منها
مادامت موجودة .

أما أنها تقطع — أي تنتهي — أو تدوم .. فهذا شيء آخر ليس في
القرآن ما يقطع به ..

وعلى العموم . فالعقل الإنساني بالنسبة للإيمان باليوم الآخر أسرى
التقليل الصحيح اليقيني عن كتاب الله ، أو أقوال الرسول ولا سيل له
في أن يدرك كنه ما يكون في تلك الشأة ..^(١)

★★★

ترى هل ترضيك هذه الاجابة أيتها الاخت ..؟

لقد آن الأوان أن أملم القلم والأوراق .. وأن تختم صفحات هذا الكتاب .. وأن أعود — بمشيئة الله — إلى قضية أخرى تتضرر المرافعة والحساب ..!

هل أقول وداعا ..؟

ولكن وداعا .. من؟ انتي لم أرك أيتها الاخت بعد .. لقد قضيت قرابة شهرين أتحدث إليك كظاهرة .. وقضية فقط .. وسواء أنت هنا اللقاء أم لم يتم .. وكان التعارف أو لم يكن .. فلسوف تبقى الاخت أـ.ـ حـ ، ممثلة أمام العين .. كنموذج لسلمة مخلصة وصادقة ..

سلمة فرنسيـة لم ترد أن يكون إيجـانـها تقليـداً بغير عـقـل ..
أو عـقـلاً مجرـداً من العـاطـفة وـالـحـب ..

وـاـنـه لنـداء تـوجـهـيـنهـ إـلـىـ كـلـ إـنـسـانـ يـشـدـ الحـقـيقـةـ وـالـحـقـ ..
ندـاءـ لـنـ يـذهبـ صـدـاهـ سـُـدـىـ فـأـىـ عـقـل ..
وـفـ أـىـ قـلـب ..

فـ الشـرـقـ أـوـ فـ الـغـربـ ..
وـالـحـمـدـ لـهـ .. مـنـ قـبـلـ .. وـمـنـ بـعـدـ ..

كتُبِ المؤلَّف

- مجتمع بلا فوارق طبعة أولى — نفذ دار الشروق
- كيف أرى الله طبعة خامسة دار الشروق
- حتى لا تخدع طبعة خامسة دار الشروق
- التزوير المقدس طبعة ثلاثة دار الشروق
- لماذا يختلفون الإسلام طبعة ثلاثة دار الشروق
- في محكمة التاريخ طبعة ثلاثة دار الشروق
- أفيقوا قبل أن تدفعوا الجزيء طبعة رابعة مكتبة المجتمع — جدة
- رسالة إلى البابا طبعة أولى — نفذ دار الأنصار
- مهدي السودان

والأصول الفكرية لحركة ودعونه

- طبعة أولى دار المعارف

تحتَ الطَّبْع

- الإسلام دين الحياة ISLAM. RELIGION OF LIFE باللغة الانجليزية بالاشراك مع الأستاذ عبد الحكيم جون ونتر البريطاني المسلم .
- الإسلام وخرافة السيف .

الفهِرْسُ

٧ *	قصة هذا الكتاب
 *	لقاء في مدينة سтратفورد STRATFORD
 *	زيارة غير متوقعة للأخت مرجريت ...
 *	صورتان لشكلة واحدة ...
 *	المسلم كم يجب أن يكون ...
 *	ولهذا كان هذا الكتاب ...
١٧ *	لماذا هي حائرة ؟ خمسة عشر موضوعاً في اثنى عشر سؤالاً .
٢٩ *	الواقع الإسلامي في قفص الاعمام الفرص الضائعة في الشرق والغرب ..
 *	تفصير عام من كل المسلمين ..
 *	علماء اليوم .. وعلماء الأمس ..
 *	العلة الحقيقة لاختلاف المسلمين كما يراها الإمام الغزالى
٤٧ *	أسئلة حديثة .. في .. قضية قدية .. هل نحن مسيرون أم محرون ؟

(١) ليس من المضطري أن ترد الموضوعات — الواقعة تحت كل عنوان — مرتبة حسب ورودها على صفحات هذا الكتاب .

- وإذا كنا مسيرين فلماذا العقاب على المذنب ؟
- وإذا كانت الهدایة والضلالة من الله .. فكيف تكون
غيرين بعد ذلك ؟..
- وكيف نوفق بين ما يبدو متعارضا مع الإرادة الحرة
للإنسان في جانب وما يبدو متفقا معها في جانب آخر ؟
- قصة السير بودل مع عرب الصحراء .

* الاجابة الخطرة ٦٧

- هل المسلم سوء الخلق أفضل من غير المسلم المحسن
الخلق ؟
- الغاية من الرسالة الحمدية
- الارتباط الوثيق بين العبادات والأخلاق
- أعمال ينكرها الإسلام
- من هم المفلسون يوم القيمة ..
- الإسلام والحكم بظواهر الأعمال .
- الإمام بن تيمية .. والعدل

* الخمرashion التحمساء ٨٣

- مسلمون يستحلون الخمر
- رجل يشرب خمرا بما يوازي عشرة آلاف دولار كل شهر .
- الإسلام ومنهج الحكم في التدرج .
- لعنة شاملة .. وتحريم مطلق ..

- وهذا هو حكم المخدرات
- مائة ألف مليون دولار تفقها الولايات المتحدة سنويا في المخدرات .

* التلفزيون .. والجريمة ١٠٩

- التلفزيون كالمخدرات وباء وبلاء .
- الخطير الذي يهدى في كل بيت .
- التليفزيون بين التحليل والتحريم .
- عندما تتكلم الاحصائيات .
- الأثر الاجرامي لأفلام العنف والجريمة .
- جريمة قتل بشعة بسبب التليفزيون .
- مجلة ريد رزد ايجست تحذر الآباء والأمهات .

* عودة الى القيم والتقاليد الاسلامية ١٣٧

- دين النظافة .. ولكن ..
- صفحات من التاريخ ..
- كيف كانت لندن وباريس في العصور الذهبية للإسلام .
- الحيوان وحقوقه في شريعة الاسلام .
- محكمة « الفرمان » في فرنسا .. ومحكمة « الدبل » في سويسرا
- عن الحياة وال وقت وقيمتها في الاسلام .
- لماذا طالبت بريطانيا باعتناق الاسلام .

* جريدة ضد المستقبل ١٨٣

- هل يجوز لسلم استخدام طفل مسلم بدلاً من ارساله إلى المدرسة ليتعلم ؟
- الطفولة ومكانتها في الاسلام .
- حقوق وواجبات متبادلة بين الآباء والأبناء .
- التعليم أولاً ..
- لماذا استخلف الانسان عن الله في الأرض
- الجهل والموت توأمان ..
- العلم الذي يدعوا اليه الاسلام .

* النهاية المثوّة ٢٠١

- هل من الممكن أن يرى الانسان الشيطان ؟
- لين توجد أرواح الموتى بعد رحيلهم عن الدنيا وقبل يوم الحساب ؟
- هل كل غير المسلمين مصرهم الى النار ؟
- وهل الذين كتب عليهم دخول النار سيقون فيها الى الأبد ؟

وهل ستبقى جهنم بلا نهاية .. ؟

دارنافع للطباعة والنشر
٩٠٠١١٨ تليفون

٧٨٨٦
٨٦ رقم الإيداع

مؤسسة الخليج العربي

١٩٥ شارع ٢٦ يوليو - العجوزة - القاهرة

٣٤٧٢٢٠٦ - ٣٤٧٢١٨٣ تليفون

هذا الكتاب

ليس هذا كتاباً كغيره من الكتب . فلم يكتن
لكتابه، فصل في كتابه على هذا المحو المثير لللام
والغضب !

فقد جاءت فكرة بالغة تشبه لمناء أحد مسلميه

بعض في فرنسا ..

واحدة من عشرات الآلاف الذين اختاروا
الإسلام بعد معاناة صعبه . مع الواقع الأليم في
أوروبا .. وقد دفعهم هذا الاختيار إلى النسب
باليأس والدفاع عن منه الرفعة العلنية ..

ولذا كان المسلمون قد خلقو عن الركب وأحيطوا
بهم من كل جانب وصوب قليس الإسلام في ذلك
أي دين ..

وفي هذا الكتاب بيان للعلل والأهراض التي
قد عدت بالمسلمين عن عاور هذا الموقف الصعب .. !!
